مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين

٦

رعاية الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

إعداد
مكتب الدار للدراسات والاستشارات
التربوية والتعليمية

إشراف
أ.د محمد بن عبدالعزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

تم هذا المشروع
برعاية مؤسسة
آل الجميح الخيرية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

رعاية طلاب العلم

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات الاستشارية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم المغتربين (٦)

رعاية الله لنبيه محمد ﷺ

مشروع بحثي قام به مكتب

الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية

تحت إشراف معهد البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إشراف

أ.د محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

١٤٣٩هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين.. وبعد:

طلب العلم ركن أساسي في تكوين المجتمع الإسلامي، وتنشئة أجياله، والحفاظ على هويتهم الإسلامية شريطة أن نعتمد المنهج القرآني الرباني في العلم والتعلُّم والتعليم فنتبناه ونطبقه، ونساعد على نشره بين الناس.

ولذا فلقد كان لرسول الله ﷺ عناية خاصة من الله تعالى، كيف لا وهو النبي الخاتم، الذي لا نبي بعده، فهذا النبي معلمٌ وقدوةٌ للبشرية إلى قيام الساعة، وأنواع التربية والعناية والتأهيل التي حظي بها النبي ﷺ من ربه كثيرة جداً.

لقد وجه الله تعالى نبيه بتوجيهات تمثل القاعدة التي يرتكز عليها المسلم في حياته – عموماً – والداعية إلى الله في دعوته – خصوصاً – لكي تتم حياته على أكمل وجه، وتقوم على منهاجها الواضح الصافي، وتظهر الفائدة منها، ويتم تحقيقها على أرض الواقع.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث: "**رعاية الله لنبيه محمد ﷺ**" محاولة لبيان المنهج الرباني في العناية بطلاب العلم، من خلال استنباط وعرض نماذج لرعاية الله تعالى لنبينا محمد ﷺ في القرآن، وذلك ضمن موسوعة [**منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم**].

سبب اختيار الموضوع:

١ – محاولة تجلية وإظهار قضية رعاية طلاب العلم للمجتمع.

٢ – بيان المنهج الرباني في رعاية طلاب العلم.

٣ – بعد كثير من طلبة العلم والعلماء عن المنهج الرباني في العلم والتعلم.

٤ – إحياء القدوة بالنبي ﷺ في الاستجابة للرعاية الربانية.

منهجية البحث:

المنهجية التي سلكتها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.
- الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب التفسير عامة في صياغة البحث ومسائله.
- التزام إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم أستشهد بحديث اتفق على ضعفه.

- الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.
- الاجتهاد قدر استطاعتي أن لا أذكر قاعدة ولا حكماً، ولا أمراً من أمور رعاية الله لنبيه محمد ﷺ إلا وأدلل عليه من القرآن وما يفسره من السنة وأقوال وأفعال أئمة السلف.
- محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة، ومواقف النبي ﷺ لاستخراج ذلك المنهج التربوي الرائد في رعاية الله لنبيه محمد ﷺ.

خطة البحث:

هذا البحث يشتمل على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وقائمة بالمراجع، ثم فهرس للموضوعات.

وكان ذلك وفق الخطة التالية:

الفصل الأول: الرعاية التربوية من الله تعالى لخاتم الأنبياء:

المبحث الأول: الرعاية التربوية في جانب العقيدة.

المبحث الثاني: الرعاية التربوية في الارتقاء بشعب الإيمان:

المطلب الأول: تربية النبي ﷺ على الصبر.

المطلب الثاني: تربيته النبي ﷺ على حسن التوكل.

المطلب الثالث: تربية النبي ﷺ على مراقبة وتقوى الله سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع: تربية النبي ﷺ على عبادة التفكر.

المطلب الخامس: تربية النبي ﷺ على عبادة التسبيح.

المطلب السادس: تربية النبي ﷺ على عبادة الذكر عامة.

المطلب السابع: تربية النبي ﷺ على عبادة الاستغفار.

المطلب الثامن: تربية النبي ﷺ على عبادة قراءة القرآن.

المطلب التاسع: تربية النبي ﷺ على عبادة الدعاء.

المطلب العاشر: تربية النبي ﷺ على عبادة الصلاة.

المطلب الحادي عشر: تربية النبي ﷺ على عبادة قيام الليل.

المطلب الثاني عشر: تربية النبي ﷺ على الشكر عند حصول النعمة.

المطلب الثالث عشر: تربية النبي ﷺ على الإقبال على الله.

المبحث الثالث: الرعاية التربوية في جانب الأخلاق والمعاملات.

الفصل الثاني: الرعاية العلمية من الله تعالى لخاتم الأنبياء ﷺ:

المبحث الأول: رعايته العلمية قبل البعثة وبدايتها.

المبحث الثاني: شمولية الرعاية التعليمية للنبي ﷺ وطريقتها ونوعيتها.

المبحث الثالث: تعليمه جوامع آداب طلب العلم.

الفصل الثالث: الرعاية الاجتماعية من الله تعالى لخاتم الأنبياء:

المبحث الأول: رعاية النبي ﷺ حال نشأته:

المطلب الأول: جعله الله تعالى من خير قبائل العرب.

المطلب الثاني: شرف والديه وجده وعمه وزوجته.

المطلب الثالث: رعاية الله للنبي ﷺ في يتمه.

المطلب الرابع: رزقه الله تعالى بالبنين والبنات.

المبحث الثاني: تهيئة الاستقرار الأسرى للنبي ﷺ:

المطلب الأول: إباحة الله لنبيه ﷺ الزيادة على أربع زوجات.

المطلب الثاني: قَسْم النبي ﷺ بين زوجاته.

المطلب الثالث: حادثة التخيير لزوجاته.

المطلب الرابع: حادثة التحريم لزوجاته.

المبحث الثالث: الاهتمام بأهل بيته ﷺ:

المطلب الأول: تربية زوجات النبي ﷺ.

المطلب الثاني: الأدب مع زوجات النبي ﷺ.

المبحث الرابع: الرعاية المادية:

المطلب الأول: التربية الربانية للنبي ﷺ في الجانب المالي.

المطلب الثاني: نشأته ﷺ في قبيلة ومنطقة مشهورة بالتجارة.

المطلب الثالث: تربيته الله نبيه ﷺ على الكسب من عمل يده.

المطلب الرابع: تيسير الله لنبيه ﷺ من يعينه.

المطلب الخامس: ما أعطاه الله تعالى من الغنائم والفيء.

المبحث الخامس: الرعاية الأمنية:

المطلب الأول: تطمأنة الله لنبيه ﷺ بأنه حافظ له.

المطلب الثاني: نماذج من حفظ الله لنبيه ﷺ من أعدائه.

المطلب الثالث: تعليم النبي ﷺ أخذ الحيطة والحذر.

المطلب الرابع: حفظ الله لنبيه ﷺ في صحته.

الفصل الرابع: الرعاية النفسية:

المبحث الأول: ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الضحى.

المبحث الثاني: ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الشرح.

المبحث الثالث: تثبيت نفس النبي ﷺ.

المبحث الرابع: تبشير النبي ﷺ.

الفصل الخامس: الرعاية الدعوية:

المبحث الأول: الرعاية من حيث تهيئة المكان والزمان والناس:

المطلب الأول: اختيار الله تعالى لنبيه ﷺ المكان المناسب لبداية الدعوة.

المطلب الثاني: اختيار الله تعالى لنبيه ﷺ الزمن المناسب للدعوة والجهر بها.

المطلب الثالث: اختيار الله تعالى لنبيه ﷺ فئة الناس الذين سيبدأ معهم الدعوة.

المبحث الثاني: إيجاد المعين له ﷺ في الدعوة.

المبحث الثالث: عرض التجارب الدعوية السابقة والاستفادة منها.

المبحث الرابع: التهيئة ببيان شدة أمر الدعوة.

المبحث الخامس: تعليم النبي ﷺ مهامه ووظائفه وقدراته:

المطلب الأول: تعليم النبي ﷺ مهامه ووظائفه.

المطلب الثاني: قدرة النبي ﷺ على البلاغ وليس على الهداية.

المبحث السادس: إرشاد النبي ﷺ لوسائل وأساليب الدعوة.

المبحث السابع: تنبيه النبي ﷺ عند الخطأ.

المبحث الثامن: تعليم النبي ﷺ التخاطب مع أصناف المدعوين:

المطلب الأول: التعامل مع المؤمنين.

المطلب الثاني: التعامل مع الكفار والمنافقين.

الفصل السادس: رعاية الدفاع والنصرة:

المبحث الأول: رعاية النبي ﷺ بتربية الأمة على الأدب معه.

المبحث الثاني: التحذير من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ

المبحث الثالث: توعد الذين يؤذون الرسول ﷺ والرد عليهم:

المطلب الأول: توعد من يؤذي رسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: رد أذية الكفار واتهامهم للنبي ﷺ.

المبحث الرابع: نماذج من الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان الطاغين:

المطلب الأول: الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي جهل.

المطلب الثاني: الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي لهب.

والله سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأن يبارك في الطيب منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أخوكم

أ.د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الفصل الأول

الرعاية التربوية من الله تعالى لخاتم الأنبياء

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: الرعاية التربوية في جانب العقيدة.

المبحث الثاني: الرعاية التربوية في الارتقاء بشعب الإيمان

المطلب الثالث عشر: تربية النبي ﷺ على الإقبال على الله.

المبحث الثالث: الرعاية التربوية في جانب الأخلاق والمعاملات.

تمهيد:

من أهم الأمور التي يركز عليها المنهج الرباني في رعاية طلاب العلم الجانب التربوي، وهذه التربية سنة ربانية رعى الله بها الأنبياء عليهم السلام جمعاً وحظي نبينا محمد ﷺ بعناية كبيرة فيها، ظهرت في توجيهات الله تعالى له، وفي مواقفه وسلوكه ﷺ.

ولإبراز هذا الجانب من الرعاية التربوية للنبي ﷺ سيتم عرض هذا الجانب من الفصل التالي.

.

المبحث الأول

الرعاية التربوية في جانب العقيدة

ويتجلى الرعاية التربوية في جانب العقيدة في أمور أهمها:

١ - إعلان الانفصال التام بين الكفر والإسلام:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون١ - ٦].

فقد كان المشركون قد عرضوا على الرسول ﷺ أن يعبدوا الله سنةً، على أن يعبد نبيَّ الله ﷺ آلهتهم سنةً، فأنزل الله هذه السورة.

فقد ورد أن الوليد بن المُغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأميَّة بن خلف، لقوا رسول الله، فقالوا: يا محمد، هلمَّ فلنعبد ما تعبد، وتعبدْ ما نعبد، ونُشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شَرَكناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك، كنت قد شَرِكتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(١)].

"فالخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الأوقاتِ"[(٢)].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٤/ ٧٠٤، الدر المنثور للسيوطي١٥/ ٧١٢.

(٢) جامع البيان للطبري٢٤ / ٧٠٤ مختصراً وبتصرف.

٢ - عدم الرضا بالكفر ولو مرة على حساب الدين:

قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ "أي: تبرأ يا محمد مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهرًا وباطنًا"(١).

"فيدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفًا لازمًا"(٢). فعبادتكم غير عبادتي، ومعبودكم غير معبودي، لأن الفعل المضارع يدل على الحدوث والتجدد واسم الفاعل يدل على اللزوم والثبات، فنفى حدوث ذلك أولاً ودل على لزوم ذلك النفي وثباته ثانياً.

فقوله: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ "توكيد للفقرة الأولى في صيغة الجملة الاسمية وهي أدل على ثبات الصفة واستمرارها. وفيه رمز إلى تنزهه ﷺ من عبادة الأصنام من سالف الزمان وإلا لقال: ولا أنا عابد ما كُنا نعبد"(٣).

٣ - أن العبادة المقترنة بالشرك ليست عبادة:

قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ "لعدم إخلاصكم في عبادته، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة"(٤).

أي: "لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٣٦.

(٢) المصدر السابق ٩٣٦.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٥٨٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٣٦.

يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أي: لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله"[١].

٤ - التمييز في العقيدة لا التمييع:

قال تعالى في ختام سورة الكافرون: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس٤١].

وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص ٥٥].

فيربي الله تعالى نبيه ﷺ على أن "التوحيد منهج، والشرك منهج آخر ولا يلتقيان، التوحيد منهج يتجه بالإنسان كله إلى الله وحده لا شريك له، ويحدد المنهج الذي يتلقى منه الإنسان، عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، هذا المنهج هو التلقي عن الله، الله وحده بلا شريك. ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس، غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صوره الظاهرة والخفية.

إن التصورات الشركية تتلبس بتصورات الإيمان فيمن عَرف العقيدة ثم انحرف عنها، وهي تظن بنفسها الهدى في الوقت الذي تعتقد انحرافاتها وتتلوى!

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠٨/٨.

واختلاط عقائدها وأعمالها وخلط الصالح بالفاسد فيها، قد يغري الداعية نفسه بالأمل في اجتذابها إذا أقر الجانب الصالح وحاول تعديل الجانب الفاسد، وهذا الإغراء في منتهى الخطورة!

إن الكفر كفر، والإسلام إسلام، والفارق بينهما بعيد، والسبيل هو الخروج عن الكفر بجملته إلى الإسلام بجملته، الانسلاخ من الكفر بكل ما فيه، والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه. فلا ترقيع. ولا أنصاف حلول. ولا التقاء في منتصف الطريق.. مهما تَزَيَّت الجاهلية بِزِيِّ الإسلام، أو ادَّعَت هذا العنوان!

وبغير هذا التوجيه وتلك التربية، سيبقى الغبش وتبقى المداهنة ويبقى اللبس ويبقى الترقيع، والدعوة إلى الإسلام لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة، إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح.."، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾[الإسراء٨٤]، ويقول تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[الأحزاب: ٤].

"إنه قلب واحد فلا بد له من منهج واحد يسير عليه وإلا تمزق وتفرق ونافق والتوى ولم يستقم على اتجاه، فلا يملك الإنسان أن يستمد آدابه وأخلاقه من معين، ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر، ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث، فهذا الخليط لا يُكوِّن إنسانا سوياً له قلب، ومن ثم فهو منهج واحد، وطريق واحد، ووحي واحد، وهو استسلام لله وحده، فالقلب الواحد لا يعبد إلهين، ولا يخدم سيدين، ولا ينهج نهجين".

٥ - النهي عن اتباع الكفار والمنافقين والبراءة منهم والإعراض عنهم وعدم طاعتهم:

إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يتبرأ من الكفار والمنافقين بطرق منها:

البراءة من أعمال الكفار والمنافقين قال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس٤١].

ومنها النهي عن عدم طاعة الكفار والمنافقين قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾[الأحزاب: ١]. أي: "لا تسمع منهم ولا تستشرهم، فالله سبحانه وتعالى أحق أن تتبع أوامره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله"[(١)].

ومنها النهي عن طاعة الكافرين بل وجهادهم بالقرآن قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان: ٥].

ومنها النهي عن طاعة الغافلين عن الله المتبعين لهواهم قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف: ٢٨].

ومنها الإعراض عن المشركين قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الحجر: ٩٤ – ٩٩]. وغيرها من الآيات التي تنوع فيها الخطاب وفيها ينهى الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ عن طاعة أهل الهوى والشك من الكافرين والمنافقين.

٦ - الإقبال على الآخرة:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٧٥.

قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: أي "الدار الآخرة خير لك من هذه الدار. ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها إطراحًا، كما هو معلوم من سيرته. ولما خُيِّرَ، عليه الصلاة السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عز وجل؛ اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية[(١)]"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]. قال ابن كثير: "أي: إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه، ومعيدك يوم القيامة، وسائلك عن أداء ما فرض عليك"[(٣)].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ "موعظة وتعليم للنبي ﷺ وتثبيت له، أي: لا يحزنك طغيان الطاغي فإنَّ مرجعه إليَّ"[(٤)]. فبذلك يربط الله تعالى قلب نبيه بالآخرة في عقاب من يتآمرون على الدعوة على الله تعالى.

٧ - الرضا والإيمان بقضاء الله وقدره والتسليم له:

وذلك ببيان أنه لن يمسه خير أو شر إلا بأمر الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأنعام ١٧].

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق ٢٣٨٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٩٥.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٤٤٦.

ولذلك نجد رسول الله ﷺ يعترف بذلك بقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ١٨٨]. أي: "فإني فقير مُدَبَّر، لا يأتيني خير إلا من اللهّ، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني"(١).

٨ - نهي الله نبيه ﷺ عن الإشراك به:

قال تعالى: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾[يونس١٠٥ - ١٠٦].

قال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

"يجوز أن يكون الخطاب موجها إلى النبي ﷺ لأنه المبلغ عن الله تعالى فللاهتمام بهذا النهي وقع توجيهه إلى النبي ﷺ مع تحقق أنه منته عن ذلك فتعين أن يكون النهي للذين هم متلبسون بالإشراك"(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

٩ - أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتوحيد الخالص الكامل:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزمر: ٢]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [الزمر: ١١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣١١.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩/ ٢٠٤.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مفردا له الطاعة، دون كلّ ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد"(١).

وقال ابن كثير: "أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له"(٢).

وقال أبو حيان: "أمره تعالى أن يصدع الكفار بما أمر به من عبادة الله، يخلصها من الشوائب"(٣).

"وهذا الإعلان من النبي ﷺ بأنه مأمور أن يعبد الله وحده، ويخلص له الدين وحده؛ هذا الإعلان ذو قيمة كبرى في تجريد عقيدة التوحيد كما جاء بها الإسلام.

وعند ذلك يقر معنى الألوهية، ومعنى العبودية، ويتميزان، فلا يختلطان ولا يشتبهان، وتتجرد صفة الوحدانية لله سبحانه بلا شريك ولا شبيه. وحين يقف محمد رسول الله ﷺ في مقام العبودية لله وحده يعلن هذا الإعلان، ويخاف هذا الخوف من العصيان، فليس هنالك مجال لدعوى شفاعة الأصنام أو الملائكة بعبادتهم من دون الله أو مع الله بحال من الأحوال".

١٠ - عدم الاستغفار للمشركين:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢١/ ٢٧٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٨٩.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٤١٢.

عن ابن المسيب، عن أبيه قال: "لما حَضَرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: **((أيْ عَمّ، قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاجّ لك بها عند الله، عز وجل))**. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟ [قال: فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب]. فقال النبي ﷺ: **((لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك))**. فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾"[(١)].

"يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

وأيضا فإن النبي ﷺ والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه اللهّ، ويعادوا من عاداه اللهّ، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار منافٍ لذلك، مناقض له"[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة القصص (٤٧٧٢) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع برقم (٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٣٥٣.

١١ - التربية على أن المشيئة لله وحده:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الكهف: ٢٣ – ٢٤].

قال ابن كثير: "هذا إرشاد من الله لرسوله الله صلوات الله وسلامه عليه، إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله، عز وجل، علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون"(١).

١٢ - عصمة النبي ﷺ من الركون للكفار:

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[الإسراء:٧٣ – ٧٥].

"يذكر الله تعالى منته على رسوله محمد ﷺ وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾ أي: قد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك"(٢).

"فيخبر تعالى عن تأييد رسوله، صلوات الله عليه وسلامه،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٨/٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٤٦٣.

وتثبيته، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه، في مشارق الأرض ومغاربها، ﷺ تسليماً كثيرًا إلى يوم الدين"[١].

١٣ - الاتباع وعدم الابتداع:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[هود: ١١٢]. قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاستقم أنت، يا محمد، على أمر ربك، والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه، كما أمرك ربك"[٢].

وقال السعدي: "أمر نبيه محمدا ﷺ، ومن معه، من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة"[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[الأحزاب: ٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ١٠٠.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥/ ٤٩٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٩٠.

ففي قوله تعالى: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ "بيان من أين يأتي التوجيه، وأن الوحي من عند الله هو المصدر الحقيق بالاتباع".

١٤ - التسليم لأمر الله في جميع الأحوال وعدم الخوف من أحد غير الله:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهُۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ ﴾[الأحزاب: ٣٧ - ٣٩].

لمّا كانت عادة التبني مسلمةً عند العرب وغيرهم وأراد الله إبطالها؛ اختار الله لذلك الأمر وهيأ الأسباب ليكون المعلم الأول ﷺ هو قدوتهم بنفسه في ذلك الأمر[(١)].

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبطل حكماً من أحكام الجاهلية، وهو حرمة زواج الولي من مطلقة متبنيه، أوحى الله تعالى إلى نبيه بذلك، وقد حصلت مشاكل بين زيد وزوجته زينب رضي الله عنها فطلقها زيد، فتزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله، بعد انقضاء عدتها، وكان هذا الزواج تشريعا للأمة الإسلامية.

فالسبب في تزويج النبي ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، ما قاله الله تعالى: ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗا ﴾

(١) تم بسط الحديث عن قضية التبني في تفسير سورة الأحزاب للباحث.

وفيه ردٌ على هؤلاء الكافرين والمنافقين الذين يريدون أن يشككوا ويعكروا صفو الماء ليلبسوا الحق بالباطل فقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾" أي ما كان على النبي من إثم وذنب فيما قدر الله عليه من الزوجات، فإن هذا قد أباحه الله له كما أباحه للأنبياء قبله"(١).

ولهذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾" هذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه، الذي كان قد تبناه "(٢).

ويصف الله سبحانه أنبياءه الذين جرت عليهم هذه السنن بالقوة في الحق والأمانة وتحقيق العبودية له وحده دون سواه بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ "فلا يحسبون للخلق حساباً فيما يكلفهم الله من أمور الرسالة، ولا يخشون أحداً إلا الله الذي أرسلهم بالرسالة للعمل والتنفيذ".

فهذه الرسائل الربانية كانت أهم معالم التربية العقدية لرسول الله ﷺ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٢٧.

المبحث الثاني

الرعاية التربوية في الارتقاء بشعب الإيمان

تمهيد:

لقد ظهرت عناية الله تعالى بإصلاح حال النبي ﷺ من الناحية الإيمانية السلوكية، وذلك بالارتقاء بجوانب شعب الإيمان وبإبعاد قلبه عن كل ما ينتابه من ضعف أو عجب أو غرور.

وقد أمر النبي ﷺ بعد هذا الجهاد العظيم والنصر المبين بالذكر والاستغفار، والصبر والتوكل والتزام الطاعة.

إنه سجل مليء بالطاعة والعبادة والتزام للأوامر، ولذلك كان هدف هذه التوجيهات أن يتذكر القلب خالقه ويرد الفضل لصاحبه، فلا يحس القلب بالعجب، وبهذا يسلم العمل ويحصل الفوز والنجاح.

وفي واقعنا المُرِّ نجد أنّ نهاية الأعمال الناجحة المثمرة المديح والرفعة وادعاء الفضل وتعداد الجهود والأسباب المبذولة، ونحو ذلك مما يفسد قلب صاحبه، ويحبط العمل ويضيع بركته وأجره.

ومن خلال هذا المبحث نلقى الضوء على معالم ذلك المنهج الإصلاحي الذي رعى الله به نبيه ﷺ، نذكر تربية الله تعالى نبيه ﷺ على الصبر، وعلى حسن التوكل، وعلى مراقبة وتقوى الله سبحانه وتعالى، وكذلك على عبادة التفكر والتسبيح والذكر والاستغفار، وقراءة القرآن، والدعاء، والصلاة، وقيام الليل، والشكر عند حصول النعمة. ثم نختم بتربية النبي ﷺ على الإقبال على الله.

المطلب الأول
تربية النبي ﷺ على الصبر

وكان ذلك في مواضع كثيرة متعددة الصور ومن أهمها:

١ - أمره الله بالصبر على الاستهزاء به مصحوبا بالتأكيد على وعد الله:

لقد ربى الله تعالى نبيه ﷺ على الصبر وهذه التربية كانت مصحوبة بالتأكيد على وعد الله النافذ وعدم الركون إلى تثبيط الكفار: قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[الروم: ٦٠].

قال أبو جعفر: أي: "فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلِّغهم رسالة ربك، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبَّاعك في الأرض حقّ، ﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلَّفك من تبليغهم رسالته"(١).

أي: "اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك، وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة، ﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هُدَى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه"(٢).

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٠/١٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٣٢٨.

٢ - أمر الله تعالى نبيه ﷺ بما يساعده على الصبر على تلك الأذية:

فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

قال الشيخ السعدي: "ولهذا أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته"(١)، لأن: "ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر"(٢).

٣ - بين الله تعالى لنبيه ﷺ مظاهر الصبر على أذية الكفار:

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٠].

قال ابن كثير: "يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلا وهو الذي لا عتاب معه"(٣).

"فأمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونه ويسبون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، لا يصده عنه صاد، ولا يرده راد، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة، الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه"(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٥٦١.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٢٥٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٩٢.

٤ - الصبر على طول طريق الدعوة:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[هود: ٤٩].

"يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ. هذه القصة وأشباهها ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السالفة ﴿ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ ﴾ أي: نعلمك بها وحيا منا إليك، ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على تكذيب من كذبك من قومك، وأذاهم لك، فإنا سننصرك ونحوطك بعنايتنا، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، كما فعلنا بإخوانك المرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم"(١).

قال أبو جعفر: ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك"(٢).

وقال ابن عطية: "أي فاجتهد في التبليغ، وجد في الرسالة، واصبر على الشدائد، واعلم أن العاقبة لك"(٣).

"وجملة ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ علة للصبر المأمور به، أي اصبر لأن داعي الصبر قائم وهو أن العاقبة الحسنة تكون للمتقين، فستكون لك وللمؤمنين معك"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٢٨.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥/٣٥٦.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٣/١٩٤.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ١١/٢٧٦.

وجعل مما يعينه على الصبر الانشغال بطاعته كما قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾[غافر: ٥٥].

"﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين. ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ أي: ليس مشكوكًا فيه، أو ليس فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر، وإنما هو الحق المحض، والهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، ويجتهد في التمسك به أهل البصائر.

فقوله: ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله وعن ما يكره الله. ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصًا ﴿ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ اللذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما، لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور"(١).

٥ - الصبر على حكم الله وقضائه:

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨].

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلغ رسالاته ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧٣٩.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٢/٤٨٨.

"فأمر رسوله ﷺ أن لا يعبأ بهم شيئا، وأن يصبر لحكم ربه القدري والشرعي بلزومه والاستقامة عليه، ووعده الله بالكفاية بقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بمرأى منا وحفظ، واعتناء بأمرك، وأمره أن يستعين على الصبر بالذكر والعبادة"[(١)].

٦ - الصبر على درجات الإحسان:

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[هود: ١١٥].

"أي: احبس نفسك على طاعة الله، وعن معصيته، وإلزامها لذلك، واستمر ولا تضجر. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم، بأحسن ما كانوا يعملون، وفي هذا ترغيب عظيم للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله، كلما ونت وفترت"[(٢)].

٧ - الاقتداء بالأنبياء السابقين في الصبر:

قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، مثبته على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة، وآمره بالاتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٩١.

﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدّة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امتُحِنوا في ذات الله في الدنيا بِالمحَن، فلم تزدهم المحن إلا جدّا في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم"[(١)].

٨ - الاستعانة بالله على الصبر:

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

"أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والاستعانة بالله على ذلك وعدم الاتكال على النفس فقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ هو الذي يعينك عليه ويثبتك"[(٢)].

ففي الآية "تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانته، وحوله وقوته"[(٣)].

٩ - الصبر على الصحبة الصالحة:

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

"يأمر تعالى نبيه محمدا ﷺ، أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد

(١) جامع البيان للطبري ٢٢/١٤٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤٥٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٦١٥.

المنيبين؛ ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية"[1].

"فلا تمل ولا تستعجل من ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾. فالله غايتهم، يتجهون إليه بالغداة والعشي، لا يتحولون عنه، ولا يبتغون إلا رضاه. وما يبتغونه أجل وأعلى من كل ما يبتغيه طلاب الحياة.

اصبر نفسك مع هؤلاء. صاحبهم وجالسهم وعلمهم. ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات. تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾.. ولا يتحول اهتمامك عنهم إلى مظاهر الحياة التي يستمتع بها أصحاب الزينة. فهذه زينة الحياة ﴿الدُّنْيَا﴾ لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالي الذي يتطلع إليه من يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه".

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤٧٥ مختصرا.

المطلب الثاني

تربية النبي ﷺ على حسن التوكل

إن كل إنسان يحتاج إلى التوكل على الله في جميع أموره، وخصوصاً الداعي إلى الله تعالى، فهو في حاجة للتوكل على الله في رزقه، وفي دعوته، وفي المشكلات التي تواجهه، وفي الاستكبار والعناد الذي يواجهه، وفي تطبيق منهج الله في نفسه أولا ثم في واقعه.

ولذلك نجد أن من الأمور التي برزت في عناية الله تعالى بنبيه ﷺ أن رباه ربه على حسن التوكل عليه، ويبرز هذا الجانب في النقاط التالية:

١ - التوجيه العام من الله لنبيه ﷺ بالتوكل على الله:

يقول الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾[الفرقان ٥٨].

قال ابن جرير: "وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فثق به في أمر ربك وفوّض إليه، واستسلم له"(١).

وقال ابن كثير: "في أمورك كلها كُن متوكلا على الله الحي الذي لا يموت أبدا، الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم ربّ كل شيء ومليكه، اجعله ذُخْرك وملجأك، وهو الذي يُتَوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك"(٢).

" والتوكل: الاعتماد وإسلام الأمور إلى المتوكل عليه وهو الله، و﴿ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ هو الله تعالى. وعدل عن اسم الجلالة

(١) جامع البيان للطبري ٢٨٦/١٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٩/٦.

إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكل عليه لأنه الدائم فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه، فالتعريف في ﴿ٱلۡحَيِّ﴾ للكامل، أي الكامل حياته لأنها واجبة باقية مستمرة وحياة غيره معرضة للزوال بالموت ومعرضة لاختلال أثرها بالذهول كالنوم ونحوه فإنه من جنس الموت، فالتوكل على غيره معرض للاختلال وللانخرام"[(١)].

٢ - التوكل على الله في كل أمر عزم عليه:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران ١٥٩].

أي: "فإذا صحَّ عزمك بتثبيتنا إياك، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك، أو خالفها ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾، فيما تأتي من أمورك وتدع، فثق به في كل ذلك، وارض بقضائه في جميعه، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم "[(٢)].

فالله تعالى يقول لنبيه: "فإذا عقدت قلبك على أمر بعد الاستشارة فاجعلْ تفويضك فيه إلى الله تعالى، فإنه العالم بالأصلح لك، والأرشد لأمرك، لا يعلمه من أشار عليك"[(٣)].

٣ - حث الله تعالى نبيه ﷺ على التوكل ببيان حب الله له:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران ١٥٩].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩ / ٨٠.

(٢) جامع البيان للطبري ٧/٣٤٦.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٨٠.

فقوله: " ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ أي: الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه"(١).

قال ابن عاشور: "لأن التوكل علامة صدق الإيمان، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاده الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه، وهذا أدب عظيم مع الخالق يدل على محبة العبد ربه فلذلك أحبه الله"(٢).

وقال أبو حيان: "حث على التوكل على الله، إذ أخبر أنّه يحب من توكل عليه، والمرءُ ساع فيما يحصل له محبة الله تعالى"(٣).

٤ - بيان أن الله تعالى وكيله وكفى به وكيلًا:

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١] و[الأحزاب١]، قال ابن كثير: "أي: كفى به وليًّا وناصرًا ومعينا لمن توكل عليه وأناب إليه"(٤).

أي: "اعتمد عليه في كل أحوالك، فهو الذي يمنعك، فلا يضرك من خذلك، وهو كاف لك ما تخافه من المشركين والمنافقين"(٥).

وقال السعدي: "توكل إليه الأمور، فيقوم بها، وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد، خصوصًا خواص عبيده، الذين لم يزل يربيهم ببره، ويُدِرُّ عليهم بركاته الظاهرة والباطنة،

---

(١) جامع البيان للطبري ٧/٣٤٦.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣/٢٧١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٣/٨١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٦٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١١٦.

خصوصًا وقد أمره بإلقاء أموره إليه، ووعده، فهناك لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشرور ترفع.

وهناك ترى العبد الضعيف، الذي فوض أمره لسيده، قد قام بأمور لا تقوم بها أمة من الناس، وقد سهل الله عليه ما كان يصعب على فحول الرجال والله المستعان"[(١)].

"والتوكل عليه وحده، هو القاعدة الثابتة المطمئنة التي يفيء إليها القلب؛ فيعرف عندها حدوده، وينتهي إليها؛ ويدع ما وراءها لصاحب الأمر والتدبير، في ثقة وفي طمأنينة وفي يقين".

٥ - التوكل على الله في الحرب:

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[سورة الأنفال: ٦١].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: "الله تعالى يأمر رسوله وهو قائد الجهاد يومئذ بقبول السلم متى طلبها أعداؤه ومالوا إليها ورغبوا بصدق فيها، لأنه ﷺ رسول رحمة لا رسول عذاب، وأمره أن يتوكل على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم ويفوض أمره إليه ويعتمد عليه فإنه تعالى يكفيه شرّ أعدائه لأنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم وأحوالهم لا يخفى عليه من أمرهم شيء فلذا سوف يكفي رسوله شر خداعهم إن أرادوا خداعه بطلب السلم والمسالمة"[(٢)].

٦ - التوكل على الله في العبادة:

قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[هود: ١٢٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٧٥.

(٢) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٢/٣٢٤.

قال السعدي: "أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك"(١).

وقال الألوسي: "أي: امتثل ما أمرت به وداوم على الدعوة والتبليغ، وتوكل عليه في ذلك"(٢).

٧ - بيان الله لنبيه ﷺ عزة ورحمة المُتَوكل عليه:

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾[الشعراء: ٢١٧].

قال ابن جرير: "﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ في نقمته من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بمن أناب إليه وتاب من معاصيه"(٣)، وقال القرطبي: "أي: فوض أمرك إليه فإنه﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذى لا يغالب، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذى لا يخذل أولياءه"(٤). "فهو سبحانه يقهر من يعصيك منهم ومن غيرهم بعزته، وينصرك برحمته، وتقديم وصف العزة؛ قيل: لأنه أوفق بمقام التسلي عن المشاق اللاحقة من القوم إليه ﷺ. وجُوِّز أن يكون ذلك لأن العزة كالعلة المصححة للتوكل، والرحمة كالعلة الداعية إليه"(٥).

و"علق التوكل بالاسمين ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وما تبعهما من الوصف الموصول إشارة إلى أنه بعزته قادر على تغلبه على عدوه الذي هو أقوى منه، وأنه برحمته يعصمه منهم"(٦).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٩٢.

(٢) روح المعاني للألوسي ١٦٨/١٢.

(٣) جامع البيان للطبري ٤١١/١٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٤/١٣.

(٥) روح المعاني للألوسي ١٣٦/١٩.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠٧/١٩.

"والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم؛ بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به يفعل ذلك"(١).

٨ - الاستدلال بوحدانية الله على الأمر بالتوكل:

قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩].

قال الرازي: " لما ثبت أنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لزمك أن تتخذه وكيلاً وأن تفوض كل أمورك إليه وهنا مقام عظيم فإنه لما كانت معرفة أنه لا إله إلا هو توجب تفويض كل الأمور إليه دل هذا على أن من لا يفوض كل الأمور إليه فإنه غير عالم بحقيقة لا إله إلا هو"(٢).

وقال السعدي: "﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: حافظا ومدبرا لأمورك كلها"(٣).

"فهو رب كل متجه.. رب المشرق والغرب.. وهو الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو؛ والتوكل عليه هو التوكل على القوة الوحيدة في هذا الوجود. والاتكال على الله وحده هو الثمرة المباشرة للاعتقاد بوحدانيته، وهيمنته على المشرق والمغرب، أي على الكون

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٥٩٩.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣٠/١٩٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٩٢.

كله.. والرسول الذي ينادى: قم.. لينهض بعبئه الثقيل، في حاجة ابتداء للتبتل لله والاعتماد عليه دون سواه. فمن هنا يستمد القوة والزاد للعبء الثقيل في الطريق الطويل".

٩ - تثبيت الله نبيه على الحق بأمره بالتوكل:

قال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩].

قال السعدي: "أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء. ﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الواضح والذي على الحق يدعو إليه، ويقوم بنصرته أحق من غيره بالتوكل فإنه يسعى في أمر مجزوم به معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية. وأيضا فهو حق في غاية البيان لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حُمِّلت، وتوكلت على الله في ذلك؛ فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هداهم"[(١)].

بهذا يتبين أهمية التربية على التوكل في رعاية طلاب العلم فهم في حاجة لربهم في كل شؤونهم، سواء أثناء الطلب أو أثناء الدعوة والتعليم.

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٠٦.

المطلب الثالث

تربية النبي ﷺ

على مراقبة وتقوى الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء: ٧٣ - ٢٢٠].

قال الشيخ الشنقيطي: وقوله هنا: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾، يدلّ على الاعتناء به ﷺ"[(١)]. وقال ابن كثير: "أي: هو معتن بك"[(٢)].

ويوضح الشيخ السعدي هذا الجانب من التربية بقوله: "لأن من استحضر في الصلاة قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها يكمل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أموره.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها، ﴿الْعَلِيمُ﴾ الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه؛ من الهم، والعزم، والنيات، مما يعينه على منزلة الإحسان"[(٣)].

"يشعر بذلك قلب الرسول ﷺ بالأنس والقربى، فربه يراه في قيامه وحده للصلاة، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة، يراه في

---

(١) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٦/١٠٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/١٧١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٥٩٩.

وحدته ويراه في جماعة المصلين يتعهدهم وينظمهم ويؤمهم ويتنقل بينهم. يرى حركاته وسكناته، ويسمع خطراته ودعواته: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وفي التعبير على هذا النحو إيناس بالرعاية والقرب والملاحظة والعناية. وهكذا كان رسول الله ﷺ يشعر أنه في كنف ربه، وفي جواره وقربه. وفي جو هذا الأنس العلوي كان يعيش".

وفي شأن التقوى يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب١]، أي: "يا أيها الذي منَّ اللهّ عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأدِّ إلى عباده وحيه، وابذل النصيحة للخلق"(١).

قال الألوسي: "ناداه جل وعلا بوصفه ﷺ، دون اسمه تعظيما له وتفخيما"(٢).

"وأمره عليه السلام بالتقوى تفخيما وتعظيما للتقوى نفسها، حيث أمر بها مثله. فإن مراتبها لا تنتهي. مع أن المقصود الدوام والثبات عليها"(٣).

واقتران الأمر بالتقوى بوصف النبوة دليل على أن الأمر جزء من ذلك الوصف، وملازم له، فالتقوى من النبوة التي أرسل بها ﷺ،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦٥٧.

(٢) روح المعاني للألوسي ١٤٣/٧.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٤٧/٨.

وكلف ببلاغها للناس، وليست مجرد وصف شخصي له ﷺ، ولا شك أنه هو أول المؤمنين المخاطبين بذلك، ولذا كان رسول الله ﷺ خير قدوة في هذا الباب، كما قال ﷺ: ((**أما إني أتقاكم لله وأخشاكم له**))[(١)].

"فتقوى الله والشعور برقابته واستشعار جلاله هي القاعدة الأولى، وهي الحارس القائم في أعماق الضمير على التشريع والتنفيذ. وهي التي يناط بها كل تكليف في الإسلام وكل توجيه".

المطلب الرابع
تربيته النبي ﷺ على عبادة التفكر

ظهرت هذه العناية من الله تعالى لنبيه ﷺ في أن الله تعالى يسر لنبيه سبل التَفَكر؛ ومنها:

رضاعته ﷺ في بادية بني سعد في الصحراء، ومكوثه فيها إلى سن الخامسة، دليل على ذلك، فالحياة في البادية حياة تحيي في القلب التوحيد بالتأمل والتفكر في هذا الكون.

وكذلك قبيل النبوة حبب الله تعالى إلى نفس نبيه ﷺ الخلوة للتفكر والتأمل، فعن عائشة ﵂ قالت: ((**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد**))[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من تحرك شهوته (١١٠٨)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٣).

قال السيوطي: "جاء عن بعض المشايخ أنه كان **يتعبد بالتفكر**[١].

وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: "حببت العزلة إليه ﷺ لأن معها فراغ القلب، **وهي معينة على التفكر**، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشع قلبه"[٢].وقال الألوسي: "قال بعضهم: إن عبادته صلى الله تعالى ﷺ التفكر والاعتبار"[٣].

وقال ابن عاشور: "يود أن يجد لنفسه قبس نور يضيء له سبيل الحق مما كان باعثا له **على التفكر** والخلوة والالتجاء إلى الله، فكان يتحنث في غار حراء"[٤].

وهذا التفكر ليتفرغ قلبه وعقله وروحه إلى ما سيلقى إليه من النبوة، فاتخذ من غار حراء متعبدًا، لينقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق، واستجماعًا لقواه الفكرية، ومشاعره الروحية، وإحساساته النفسية، ومداركه العقلية، تفرغًا لمناجاة مبدع الكون وخالق الوجود.

"كانت هذه الخلوة التي حببت إلى نفس النبي ﷺ لونًا من الإعداد الخاص من الله تعالى لنبيه، وتصفية النفس من علائق المادية البشرية إلى جانب تعهده الخاص بالتربية الإلهية والتأديب الرباني في جميع أحواله، وكان تعبده ﷺ قبل النبوة بالتفكر في بديع

---

(١) الديباج في شرح صحيح مسلم للسيوطي ١/١٨٤.

(٢) شرح النووي على مسلم ١/١٨٧.

(٣) روح المعاني للألوسي ٢٥/ ٥٩.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ٣٦٣.

ملكوت السماوات، والنظر في آياته الكونية الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ومحكم تدبيره، وعظيم إبداعه"[١].

"وهذه الخلوة مهمة لكل مسلم سواء كان حاكمًا أو عالمًا، أو قائدًا، أو تاجرًا.. لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، ونصحح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب"[٢].

وظهرت نتيجة وأثر ذلك، فقد كان النبي ﷺ مبعوثا بالرسالة الخاتمة، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والجور والشرك والغي إلى أنوار العلم والعدل والتوحيد والرشد، وكان العالم قبل البعثة المحمدية وفي زمنها، غارقا في بحر تلك الظلمات، وفي مقدمتها ظلمة الجهل التي أغلقت عقول الناس عن قبول الحق والهدى. فكان من الطبيعي والمنطقي أن يكون شعار الدين الخاتم "اقرأ" وأن يكون استعمال العقل والتفكير وتوجيهه الوجهة الصحيحة بأن يكون مستثمرا في الطاعة والعبادة، وهنا تبرز آثاره الإيجابية ولا يكون خطامه بيد الشيطان فيكون من المبادئ ما يرتقي بالإنسان في معراج الكمال الذي جاء به الإسلام.

---

(١) محمد رسول الله لمحمد صادق عرجون١/ ٢٥٤.

(٢) السيرة النبوية للصلابي ١/ ٩٨.

المطلب الخامس

تربيته النبي ﷺ على عبادة التسبيح

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتسبيح في أوقات ومواقف كثيرة يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١ - الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها:

قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾[طه: ١٣٠].

قال ابن جرير: "أمره جل ثناؤه في نوائبه بالفزع إلى الصبر والصلاة"(١)، "فأمره الله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في الأوقات الفاضلة، وهي: قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، وفي أوقات الليل وساعاته، ﴿ لَعَلَّكَ ﴾ إن فعلت ذلك، ﴿ تَرْضَىٰ ﴾ بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر"(٢)،"فاشتغل عنهم بطاعة ربك وتسبيحه، أول النهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإن ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر"(٣).

(١) جامع البيان للطبري ١٤/١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٥١٦.

(٣) المصدر السابق ٨٠٧.

الله تعالى يقول لنبيه: "اتجه إلى ربك. سبح بحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. في هدأة الصبح وهو يتنفس ويتفتح بالحياة؛ وفي هدأة الغروب والشمس تودع، والكون يغمض أجفانه، وسبح بحمده فترات من الليل والنهار.. كن موصولاً بالله على مدار اليوم ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

إن التسبيح بحمد الله اتصال. والنفس التي تتصل تطمئن وترضى. ترضى وهي في ذلك الجوار الرضي؛ وتطمئن وهي في ذلك الحمى الآمن، فالرضا ثمرة التسبيح والعبادة، وهو وحده جزاء حاضر ينبت من داخل النفس ويترعرع في حنايا القلب".

٢ - الجمع بين التسبيح والتحميد:

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

"أي: اقرن بين حمده وتسبيحه"(١)؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: سبحانك اللهم رَبَّنا وبحمدك فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((**كان النبي ﷺ يقول: في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**))(٢).

" فأمره بالتسبيح هو تنزيه الله عما لا يليق به، وأول ذلك الشركة في الإلهية، أي: إذا أهمك أمر إعراض المشركين عن دعوة الإسلام فعليك نفسك فنزه الله.

والباء في ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ للمصاحبة، أي سبحه تسبيحا مصاحبا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب الدعاة في الركوع (٧٦١)، ومسلم في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود(٤٨٤).

للثناء عليه بما هو أهله. فقد جمع له في هذا الأمر التخلية والتحلية، مقدما التخلية، لأن شأن الإصلاح أن يبدأ بإزالة النقص"[١]، "أي: نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار به من الشركاء"[٢].

٣ - التسبيح عند الكرب:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحجر: ٩٧ – ٩٨].

قال أبو جعفر: "فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهمّك"[٣]، "فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة"[٤].

"أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك"[٥].

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهون عليه قال له: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ **فأمره: بالتسبيح والتحميد والسجود.**

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩/ ٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٣٢.

(٣) جامع البيان للطبري ١٧/ ١٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٥٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤٣٥.

واختلف الناس في أنه كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سبباً لزوال ضيق القلب والحزن؟ فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها، فلا يستوحش من فقدانها، ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم"[(١)].

٤ - تعظيم الله تعالى بالتسبيح:

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[الحاقة: ٥٢]. "أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١]. قال السعدي: "أمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم"[(٣)]. "ونزهه عما لا يليق بجلاله، وقدسه بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله"[(٤)].

"والتسبيح هو التمجيد والتنزيه واستحضار معاني الصفات الحسنى لله، وليست هي مجرد ترديد لفظ. و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٩/١٧١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٠.

(٣) المصدر السابق ٨٣٥.

(٤) المصدر السابق ٨٨٤.

﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.. تطلق في الوجدان معنى وحالة يصعب تحديدها باللفظ، ولكنها تتذوق بالوجدان. وتوحي بالحياة مع الإشراقات المنبثقة من استحضار معاني الصفات.

والصفة الأولى القريبة في هذا النص هي صفة الرب. وصفة الأعلى.. والرب: المربي والراعي، وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التي لا تتناهى؛ وتطلق الروح لتسبح وتسبح إلى غير مدى.. وتتناسق مع التمجيد والتنزيه، وهو في صميمه الشعور بصفة الأعلى..

والخطاب هنا لرسول الله ﷺ ابتداء. وهذا الأمر صادر إليه من ربه. بهذه الصيغة: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾.. وفيه من التلطف والإيناس ما يجل عن التعبير. وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ هذا الأمر، ثم يعقب عليه بالاستجابة المباشرة، قبل أن يمضي في آيات السورة، يقول: سبحان ربي الأعلى فهو خطاب ورده. وأمر وطاعته. وإيناس ومجاوبته، يتلقى مباشرة ويستجيب.

عقبة بن عامر الجهني، يقول: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ قال لنا رسول الله ﷺ: ((**اجعلوها في ركوعكم**))، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قال: ((**اجعلوها في سجودكم**))[1].

فهذا التسبيح في الركوع والسجود كلمة حية ألحقت بالصلاة وهي دافئة بالحياة. لتكون استجابة مباشرة لأمر مباشر، أو بتعبير أدق.. لإذن مباشر.. فإذن الله لعباده بأن يحمدوه ويسبحوه إحدى نعمه عليهم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٥٥برقم(١٧٤٥٠) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده يحتمل التحسين، وأخرجه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة والسنن فيها باب التسبيح في الركوع والسجود (٨٨٧)، أبو داود كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٨٦٩) وضعفه الألباني في كليهما.

وأفضاله. إنه إذن بالاتصال به سبحانه في صورة مقربة إلى مدارك البشر المحدودة. صورة تفضل الله عليهم بها ليعرفهم ذاته. في صفاته. في الحدود التي يملكون أن يتطلعوا إليها. وكل إذن للعباد بالاتصال بالله في أي صورة من صور الاتصال، هو مكرمة له وفضل على العباد".

٥ - التسبيح عند النصر:

قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣].

"التسبيح والحمد على ما أولاهم من منة بأن جعلهم أمناء على دعوته حراساً لدينه. وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه، وفتحه على رسوله ودخول الناس أفواجاً في هذا الخير الفائض العميم، بعد العمى والضلال والخسران"[(١)].

٦ - التسبيح عند القيام من المجلس وللصلاة ومن النوم في الليل:

قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[الطور:٤٨] "قال الضحاك: أي إلى الصلاة: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وقال أبو الجوزاء: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي: من نومك من فراشك. ويتأيد هذا القول بما رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: ((**من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي - أو قال: ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلى تقبلت صلاته**))[(٢)].

---

(١) سيأتي الحديث بتوسع عن هذه النقطة في مطلب: تربية النبي ﷺ على الشكر بالطاعة عند حصول النعم.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى (١١٠٣).

قال: مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من كل مجلس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال: قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**))[(١)]"[(٢)].

٧ - التسبيح في قيام الليل:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[الطور: ٤٩].أي: "اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل"[(٣)]، أي: "وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإن ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر"[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾ [الإنسان ٢٦].

"التسبيح: التنزيه بالقول وبالاعتقاد، ويشمل الصلوات والأقوال الطيبة والتدبر في دلائل صفات الله وكمالاته، وغلب إطلاق مادة التسبيح على الصلاة النافلة"[(٥)].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقال إذا قام من المجلس(٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٨/٧ - ٤٤٠ باختصار.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٤٤٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٠٧.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٧٦/٢٩.

المطلب السادس

تربية النبي ﷺ على عبادة الذكر عامة

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بذكره والدوام على ذلك فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴾ [المزمل٨]."أي دم على ذكره ليلا ونهارا على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد"[١]، والدوام على ذلك[٢].

قال ابن عاشور: "أي أقبل على شأنك من الدعوة إلى الله وذكر الله بأنواع الذكر"[٣] وهذا "شامل لأنواع الذكر كلها"[٤].

وكذلك أمره ربه بذكره عامة في مواضع وأوقات كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الإنسان: ٢٥]. قال الطبري: "بكرة: صلاة الصبح، وأصيلا صلاة الظهر الأصيل"[٥].

وكذلك ينبه الله تعالى نبيه ﷺ بذكره إذا نسي فقال: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[الكهف: ٢٤].

وقد أمره ربه بذكره على جميع الأحوال وحذره من الغفلة عن ذكره فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

---

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٥/٤٥٦.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩/ ٢٤٩.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩/ ٣٧٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٩٢.

(٥) جامع البيان للطبري ٢٤/ ١١٧.

قال أبو حيان: "أمر الرسول صلى الله عليه وسلّم أن يذكر ربه في نفسه بحيث يراقبه ويذكره في الحالة التي لا يشعر بها أحد وهي الحالة الشريفة العليا، ثم أمره أن يذكره ﴿وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي يذكره بالقول الخفي الذي لا يشعر بالتذلّل والخشوع من غير صياح ولا تصويت شديد كما تُناجى الملوك وتستجلب منهم الرغائب، لأنّ في الجهر عدم مبالاة بالمخاطب وظهور استعلاء وعدم تذلّل والذكر شامل لكلّ من التهليل والتسبيح وغير ذلك.

والظاهر أن قوله ﴿وَٱذْكُر﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلّم، وكذلك تعلّق الذكر بالرب تعالى لأنّ استحضار الذات المقدسة استحضار لجميع أوصافها.

وفي لفظة ﴿رَّبَّكَ﴾ من التشريف بالخطاب والإشعار بالإحسان الصادر من المالك للمملوك ما لا خفاء فيه ولم يأت التركيب واذكر الله ولا غيره من الأسماء وناسب أيضاً لفظ الرب قوله ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ لأنّ فيه التصريح بمقام العبودية.

ولما ذكر حالتي الذكر وسببهما وهما التضرُّع والخفية ذكر أوقات قال قتادة: الغدوّ صلاة الصبح والآصال: صلاة العصر، وقيل: خصهما بالذكر لفضلهما، وقيل: المعنى جميع الأوقات وعبر بالطرفين المشعرين بالليل والنهار"[1].

و"الذكر للهّ تعالى يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر اللهّ عبده ورسوله محمدا أصلا وغيره تبعا، بذكر ربه في نفسه، أي: مخلصا خاليا.

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٣٦٩/٤ باختصار.

﴿ تَضَرُّعًا ﴾ أي: متضرعا بلسانك، مكررا لأنواع الذكر، ﴿ وَخِيفَةً ﴾ في قلبك بأن تكون خائفا من اللهّ، وَجِلَ القلب منه، خوفا أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به.

﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي: كن متوسطا، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا. ﴿ بِٱلْغُدُوِّ ﴾ أول النهار ﴿ وَٱلْآصَالِ ﴾ آخره وهذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية وفضيلة على غيرهما.

﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به، وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر اللهّ آناء الليل والنهار، خصوصا طَرَفَيِ النهار، مخلصا خاشعا متضرعا، متذللا ساكنا، متواطئاً عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن اللهّ لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ"[(١)]، "فهو أمر من الله عز وجل بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده"[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣١٤.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٥٦٦.

المطلب السابع
تربية النبي ﷺ على عبادة الاستغفار

أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار تربية له على هذه العبادة العظيمة وذلك في مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[النساء: ١٠٦]. قال أبو حيان: "وقيل: هو أمر بالاستغفار على سبيل التسبيح من غير ذنب أو قصد توبة، كما يقول الرجل: استغفر الله"(١).

قال السعدي: "﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ مما صدر منك إن صدر. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره، وتاب إليه وأناب ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجِب لثوابه وزوال عقابه"(٢).

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥].

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ يا محمد لأمر ربك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ أي: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه"(٣).

وقال السعدي: "﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور"(٤).

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٢٨٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٠٠.

(٣) جامع البيان للطبري ٢١/ ٤٠٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧٣٩.

وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[محمد١٩]. قال ابن جرير: "أي: وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء"(١).

وقال القرطبي: "يحتمل وجهين: أحدهما: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب. الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب"(٢).

وقال السعدي: "أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب والعفو عن الجرائم، ﴿ و ﴾ استغفر أيضاً ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ فإنهم - بسبب إيمانهم - كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة"(٣).

وقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾[النصر: ٣].

وفي أمره بهذا الاستغفار بعد النصر فوائد منها: "ليكون ذلك منه شكراً لله تعالى على نعمه، لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر، وأنه نعى إليه نفسه، فطلب منه أن يجد في عمله "(٤).

و"في الاستغفار توجهاً بالذات لحال العبد وتقصيراته، ويجوز أن يكون طلب الاستغفار بعدهما لما في مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار وفي تقديمها - النصر والفتح - علي الدعاء تعليم أدب الدعاء وهو أن لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسؤول منه سبحانه وتعالى"(٥).

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٢/١٧٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/٢٤٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧٨٧.

(٤) النكت والعيون للماوردي ٦/٣٦١.

(٥) روح المعاني للألوسي ٣٠/٣٣١.

و"الاستغفار ينفي الزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء. وهو مدخل يصعب توقيه في القلب البشري. فمن هنا عُلمنا الاستغفار.

والاستغفار مما قد يكون ساور القلب أو تدسس إليه في فترة الكفاح الطويل والعناء القاسي، والشدة الطاغية والكرب الغامر، من ضيق بالشدة، واستبطاء لوعد الله بالنصر، فمن هذا يكون الاستغفار.

والاستغفار من التقصير في حمد الله وشكره فجهد الإنسان، مهما كان، ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة الفيض والهملان.. فمن هذا التقصير يكون الاستغفار..".

وقد لبى رسول الله ﷺ أمر ربه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: ((**سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**)) فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول: ((**سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه؟**)) فقال: ((**إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره، إنه كان توابا، فقد رأيتها** : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾))[1].

وكان يقول ﷺ: ((**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**))[2].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافر باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (٦٣٠٧).

وفي رواية: ((يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب، في اليوم إليه مائة، مرة))[١].

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول: **((رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير))**[٢].

المطلب الثامن
تربية النبي ﷺ على عبادة قراءة القرآن

كتاب الله تعالى هو زاد طالب العلم والعالم والداعية إلى الله تعالى، بل هو زاد كل مسلم ليعينه على مواصلة طريقه إلى الله تعالى وإلى جنته.

ومن هنا جاءت عناية الله تعالى برسوله ﷺ في هذا الجانب، فقد أمره ربه بقراءة القرآن وترتيله وتلاوته للدعوة إليه وهذا تربية له على هذه العبادة العظيمة.

١. **فقد أمره الله تعالى في بداية الدعوة بترتيل القرآن** قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[المزمل: ٤ - ٥].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: ((اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت)) برقم (٦٠٣٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل رقم(٢٧١٩).

قال ابن جرير: "يقول جلّ وعزّ: وبين القرآن إذا قرأته تبييناً، وترسل فيه ترسلاً"(١). وقال القرطبي: "أي لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه، في مهل وبيان مع تدبر المعاني"(٢).

وقال السعدي: "فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، فإنه قال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ أي: نوحي إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له، ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه"(٣).

٢. وأكد الله تعالى على ترتيل القرآن في الدعوة إلى الله فقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[الإسراء: ١٠٦].

قال ابن كثير: "أنزلناه آية آية، مبينًا مفسرًا؛ ولهذا قال: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: مَهَل ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ أي: شيئًا بعد شيء"(٤).

قال الألوسي: "﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي تؤدة وتأنٍ فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم"(٥).

٣. وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بتلاوته وحذره من تركه وهجرانه فقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[الكهف: ٢٧].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٣/ ٦٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٣٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٩٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٧/٥.

(٥) روح المعاني للألوسي ١٨٨/١٥.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا، ولا تتركنّ تلاوته، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه، والعمل بحلاله وحرامه، فتكون من الهالكين، وذلك أن مصير من خالفه، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يقول: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ يقول: وإن أنت يا محمد لم تتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتمّ به، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلا تئل إليه ومعدلا تعدل عنه إليه، لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به"[(١)]. وقال الجزائري: "أي اقرأ القرآن تعبداً ودعوة وتعليماً"[(٢)].

المطلب التاسع
تربية النبي ﷺ على عبادة الدعاء

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بدعائه وورد ذلك في القرآن على صور مختلفة ومنها:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

قال السعدي: "يأمر تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالدعاء بقوله أي: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقتها الأمر.

---

(١) جامع البيان للطبري ١٧/ ٦٥١.

(٢) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٣/ ٢٥٢.

﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ أي: حجة ظاهرة، وبرهانًا قاطعًا على جميع ما آتيه وما أذره، وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيرًا ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له - على كل حالة من أحواله - دليلا ظاهرًا، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل"[(١)].

ويقول سيد: "وهو دعاء يعلمه الله لنبيه ليدعوه به، ولتتعلم أمته كيف تدعو الله، وفيمَ تتجه إليه؟ دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج، كناية عن صدق الرحلة كلها، بدئها وختامها، أولها وآخرها وما بين الأول والآخر.

﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ قوة وهيبة استعلي بهما على سلطان الأرض وقوة المشركين وكلمة ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تصور القرب والاتصال بالله والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء إلى حماه.

وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله. ولا يمكن أن يهاب إلا بسلطان الله. لا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذي جاه فينصره ويمنعه ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله. والدعوة قد تغزو قلوب ذوي السلطان والجاه، فيصبحون لها جنداً وخدماً فيفلحون، ولكنها هي لا تفلح إن كانت من جند السلطان وخدمه، فهي من أمر الله، وهي أعلى من ذوي السلطان والجاه".

ومن الأدعية التي أمر الله بها نبيه ﷺ، قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾[الكهف: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[طه: ١١٤]. قيل: "ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم"[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٤٦٤ باختصار وتصرف.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٥٠.

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[المؤمنون: ٩٣ - ٩٤]. "ذكر الربَّ مرتين؛ مبالغةً في التضرع، وأمره أن يسأله أن لا يجعله في القوم الظالمين... لكون شؤم الكفر قد يلحق مَن لم يكن من أهله"(١).

وفيه "إشارة إلى أن الله سبحانه له أن يفعل ما يشاء، فينبغي لأقرب خلقه إليه أن يكون على غاية الحذر منه"(٢)، "فهذا الدعاء زيادة في التوقي وتعليم لمن بعده ألا يأمنوا مكر الله، وأن يظلوا أبدا أيقاظا، وأن يلوذوا دائما بحماه".

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨]. "واستعاذة الرسول ﷺ من همزات الشياطين ودفعاتهم - وهو معصوم منها - زيادة كذلك في التوقي، وزيادة في الالتجاء إلى الله، وتعليم لأمته وهو قدوتها وأسوتها، أن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين في كل حين".

وختمها الله تعالى بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٣/٥٨٧.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/٢٢٠.

المطلب العاشر
تربية النبي ﷺ على عبادة الصلاة

إذا نظرنا إلى اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بالصلاة المفروضة وجدنا أنه اهتمام يوازي منزلتها في النصوص. فكانت الصلاة من أوليات الفرائض، وكان النبي ﷺ يصلي في مكة، حتى حلف أبو جهل باللات والعزى ليطأن رقبته، أو ليعفرن وجهه بالتراب إن رآه يصلي، ولكن الله تعالى حمى نبيه بجند من الملائكة، وَكَانَ أَصْحَابُه ﷺ إِذَا صَلَّوْا ذَهَبُوا فِي الشِّعَابِ فَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ.

وهذا الاهتمام نابع من أمر الله له بالصلاة أمراً مباشراً كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [هود: ١١٤]. قال القرطبي: "وخصها بالذكر لأنه ثانية الإيمان، وإليها يفزع في النوائب، ((**وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة**))[(١)]"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤ – ٩٩]. "أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك"[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾[الإسراء: ٧٨].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب التطوع، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل (١٣٢١) وصححه الألباني.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٢٢٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٤٣٥.

فهنا "يأمر تعالى نبيه محمدًا ﷺ بإقامة الصلاة تامة، ظاهرًا وباطنًا، في أوقاتها"[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

وبهذا يتبين اهتمام الله تعالى بتربية نبيه على الصلاة لما فيها من سعادة وطمأنينة وراحة في الدنيا والآخرة، وكذلك أثرها وأهميتها في حياة الداعية.

المطلب الحادي عشر
تربية النبي ﷺ على عبادة قيام الليل

يرشد الله تعالى نبيه ﷺ إلى ما يرفع درجته في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[الإسراء: ٧٩].

ويحث كذلك رسوله على قيام الليل بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]. "في التعبير على هذا النحو إيناس بالرعاية والقرب والملاحظة والعناية. وهكذا كان رسول الله ﷺ يشعر أنه في كنف ربه، وفي جواره وقربه. وفي جو هذا الأنس العلوي كان يعيش..".

وفي أول طريق الدعوة يبين لرسوله ﷺ زاده في الدعوة ومعينه ومثبته فيأمره بقيام الليل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾[المزمل: ١ - ٦]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾[الإنسان: ٢٦].

---

(١) المصدر السابق ص٤٦٤.

و"حكمة هذا القيام الذي فرض على الرسول ﷺ في صدر رسالته هو أن تزداد به سريرته زكاء يقوي استعداده لتلقي الوحي. وتخصيص الليل بالصلاة فيه لأنه وقت النوم عادة فأمر الرسول ﷺ بالقيام فيه زيادة في إشغال أوقاته بالإقبال على مناجاة الله، لأن الليل وقت سكون الأصوات واشتغال الناس فتكون نفس القائم فيه أقوى استعدادا لتلقي الفيض الرباني"(١).

إنه "لا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى.. لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة".

ثم تأتي لمسة التخفيف الندية، ودعوة التيسير الإلهي على النبي والمؤمنين. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[المزمل: ٢٠].

"وافتتاح الكلام بـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ يشعر بالثناء عليه لوفائه بحق القيام الذي أمر به وأنه كان يبسط إليه ويهتم به ثم يقتصر على القدر المعين فيه النصف أو أنقص منه قليلا أو زائد عليه بل أخذ بالأقصى وذلك ما يقرب من ثلثي الليل كما هو شأن أولي العزم"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩/ ٢٥٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩/ ٢٨٠.

المطلب الثاني عشر
تربية النبي ﷺ على الشكر عند حصول النعمة

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[النصر: ١ – ٣].

المراد بهذا النصر: نصر الرسول ﷺ على قريش[(١)]، **والمراد بالفتح هنا**: "فتح مكة قولاً واحداً"[(٢)].

فالواجب عند حصول النصر والظفر أمران في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

كذلك ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

فالكوثر: "الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له ﴿الْكَوْثَرَ﴾"[(٣)].

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أعطيتُ الكوثر، فإذا هو نهر يجري، ولم يُشق شقًا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته، فإذا مسكه ذَفَرة[(٤)]، وإذا حصاه اللؤلؤ**))[(٥)].

(١) جامع البيان للطبري ٢٤/٧٠٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٥١١، وجامع البيان للطبري من غير ذكر: قولاً واحداً ٢٤/٧٠٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٣٥.

(٤) المسكة الذفرة: هي المسكة شديدة الرائحة. ينظر تعليق شعيب الأرناؤوط على أخرجه أحمد في المسند.

(٥) أخرجه أحمد ٣/١٥٢(١٢٥٢٦)، قال شعيب الأرنؤوط "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وأبي يعلى ٦/٢٣٦(٣٥٢٩)، وقال محمد بن سليم إسناده صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٣).

وفي رواية: ((**ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة -، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها مثل أعناق الجُزُر**)). فقال عمر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: ((**أكلها أنعم منها**))[١].

وعنه رضي الله عنه قال: لما عُرِجَ بالنبي ﷺ إلى السماء قال: ((**أتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**))[٢].

عن أبي عبيدة، عن عائشة رضي الله عنها قال: "سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قالت: نهر عظيم أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم"[٣].

فعند حصول النعمة أو التبشير بها علّم الله تعالى نبيه ورباه على بعض الأعمال ومنها:

الأمر الأول: التسبيح والحمد لله:

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره، على ما أنجز لك من وعده. فإنك حينئذ لاحق به، وذائق ما ذاق مَنْ قبلك من رُسله من الموت[٤].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير الجنة (٢٥٤٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥١٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الكوثر (٤٩٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الكوثر (٤٩٦٥).

(٤) جامع البيان للطبري ٢٤/٧٠٧.

"فنزهه تعالى بكل ذكر يدل على التنزيه، حامداً له جل وعلا زيادة في عبادته والثناء عليه سبحانه، لزيادة إنعامه سبحانه عليك، فالتسبيح: التنزيه المقتضي للتلفظ بكلمة سبحان الله، وتحميده وهو: إثبات ما يليق به تعالى من المحامد له، لعظم ما أنعم سبحانه به عليه، وأن توقيت الأمور من عنده ليس إلا لحكمة لا يعرفها إلا هو عز وجل"(١).

الأمر الثاني: الاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ وفي أمره بهذا الاستغفار بعد النصر فوائد منها: "ليكون ذلك منه شكراً لله تعالى على نعمه، لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر، وأنه نعى إليه نفسه، فطلب منه أن يجد في عمله"(٢).

وكذلك "في الاستغفار توجهاً بالذات لحال العبد وتقصيراته.

ويجوز أن يكون طلب الاستغفار بعدهما لما في مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار.

وفي تقديمها - النصر والفتح - على الدعاء تعليم أدب الدعاء وهو أن لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسئول منه سبحانه وتعالى"(٣).

و"الاستغفار ينفي الزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء. وهو مدخل يصعب توَقِّيْه في القلب البشري. فمن هنا عُلِّمنا الاستغفار.

---

(١) روح المعاني للألوسي ٣٠/٣٢٩ بتصرف.

(٢) النكت والعيون للماوردي ٦/٣٦١.

(٣) روح المعاني للألوسي ٣٠/٣٣١.

وقد لبى رسول الله ﷺ أمر ربه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: ((**سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**)) فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول: ((**سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**))؟ فقال: ((**إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره، إنه كان توابا، فقد رأيتها:** ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾))[١].

وكان يقول ﷺ: ((**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**) وفي رواية مسلم (**وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**))[٢].

الأمر الثالث والرابع: الصلاة، والذبح لله:

قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ **كما في سورة الكوثر.**

أي: "كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدم صفته - فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة، ونَحْرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. وهذا مثل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٢ - ١٦٣]"[٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة(٦٣٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار(٢٧٠٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠٣/٨ باختصار.

و"خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته"[١].

رابعا: تربيته على شكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى١١] وذلك "يشمل النعم الدينية والدنيوية، أي: أثنِ على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة. وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داعٍ لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن"[٢].

قال ابن القيم: «وفي هذا التحديث المأمور به قولان؛ أحدهما: أنه ذكر النعمة والإخبار بها وقوله: أنعم الله علي بكذا وكذا، قال مقاتل: يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة: من جبر اليتيم، والهدى بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة.

والتحدث بنعمة الله شكر كما في حديث جابر ﷺ مرفوعا: **((من صنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليثن، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره))**[٣]"[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٩.

(٣) صحيح الأدب المفرد باب من صنع إليه معروف فليكافئه للألباني ح(٢١٥).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٤٨.

"فالشكر سلوك عملي، كما أن الإيمان سلوك عملي:

فالله تعالى قد منح الإنسان جسداً، وشكر هذه النعمة أن يعمل بجسده في طاعة الله لا في معصيته.

والله قد منح الإنسان عقلاً وفكراً، وشكر هذه النعمة أن يعمل بفكره في طاعة الله لا في معصيته.

والله قد منح الإنسان بصراً، وشكر هذه النعمة أن يستخدم بصره في طاعة الله لا في معصيته.

والله قد منح الإنسان سمعاً، وشكر هذه النعمة أن يستخدم سمعه في طاعة الله لا في معصيته.

والله قد منح الإنسان مالاً، وشكر هذه النعمة أن يستخدم ماله في طاعة الله لا في معصيته.

وكذا مئات الألوف من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وكذلك مئات الألوف من الطاعات هي الشكر على هذه النعم، وفي النهاية يصبح الشكر هو العبادة الحقة"[١].

(١) دراسات قرآنية- محمد قطب ص٢٠٤.

المطلب الثالث عشر
تربية النبي ﷺ على الإقبال على الله

ولذلك صور عديده من أهمها:

١- تربيته على التبتل في العبادة وكثرتها:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾[المزمل: ٨] "أي: انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه"(١).

فـــ"التبتل هو الانقطاع الكلي عما عدا الله، والاتجاه الكلي إليه بالعبادة والذكر، والخلوص من كل شاغل ومن كل خاطر، والحضور مع الله بكامل الحس والمشاعر".

٢- التربية على الاستمرار في العبادة وعدم الانقطاع عنها:

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر: ٩٤ – ٩٩] "أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائباً في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ تسليما كثيرا"(٢).

٣- البعد عن ملهيات الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴾[الكهف: ٢٨].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٨٩٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٤٣٥.

"فالخطاب يوجه إلى الرسول ﷺ ليصبر نفسه مع أهل الإيمان غير مبال بزينة الحياة الدنيا وأهلها الغافلين عن الله.. والقلب الذي يشتغل بهذه الشواغل، ويجعلها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله، فيزيده الله غفلة، ويملي له فيما هو فيه، حتى تفلت الأيام من بين يديه".

٤- تربيته على الاستقامة والالتزام بشرع الله:

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[هود١١٢].

قال ابن كثير: "يأمر تعالى رسوله والمؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر"(١).

"الاستقامة: الاعتدال والمضي على النهج دون انحراف. وهو في حاجة إلى اليقظة الدائمة، والتدبر الدائم، والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية التي تميل الاتجاه قليلاً أو كثيراً.. ومن ثم فهي شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة.

وإنه لمِّما يستحق الانتباه هنا أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة، لم يكن نهياً عن القصور والتقصير، إنما كان نهياً عن الطغيان والمجاوزة.. وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر. والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٠٣.

على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير. وهي التفاتة ذات قيمة كبيرة، لإمساك النفوس على الصراط، بلا انحراف إلى الغلو أو الإهمال على السواء".

٥- تربيته على حسن الإقبال على الله وكثرة العبادة:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح٧-٨] أي: "إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء. وأعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك.

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة وأكملتها، ﴿فَٱنصَبْ﴾ في الدعاء، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ في سؤال مطالبك"[١]، "وقم إليه نشطاً فارغ البال وأخلص لربك في النية والرغبة"[٢].

"وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الفرائض ﴿فَٱنصَبْ﴾ في قيام الليل، وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من تبليغ الرسالة ﴿فَٱنصَبْ﴾ أي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات.

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من جهاد عدوك، ﴿فَٱنصَبْ﴾ لعبادة ربك.

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من دنياك، ﴿فَٱنصَبْ﴾ في صلاتك.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٣٣ بتصرف.

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من أمر الخلق، فاجتهد في عبادة الحق"[١].

وقيل: "أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين"[٢].

وكل هذه الأقوال تشير إلى تربية الله عز وجل لرسوله ﷺ على المسارعة والإكثار من العبادة في جميع الأوقات، وأن يخرج المؤمن من عبادة فيبادر في الدخول إلى عبادة أخرى. فقد "أُمر رسول الله ﷺ بالتوكل على الله عز وجل وصرف وجه الرغبات إليه لا سواه"[٣].

---

(١) انظر هذه الأقوال في: جامع البيان للطبري ٢٤/ ٤٩٧-٥٠٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٠٨-١٠٩باختصار وزيادة الأدلة.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٠/٤٠٧.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥/٥٠٠.

المبحث الثالث

الرعاية التربوية في جانب الأخلاق والمعاملات

يمكن إبراز رعاية الله تعالى لنبيه ﷺ في الرقي بالجانب الخلقي وفي السلوكي مع الناس في النقاط التالية:

١- تربيته ﷺ على رعاية اليتامى والاهتمام بهم:

قال تعالى:﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[الضحى٩] أي: "لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضِق صدرك عليه، ولا تنهره. بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك"(١)، "فلا تذله ولا تنهره ولا تهنه، ولكن أحسِنْ إليه، وتلطف به، وقيل: كن لليتيم كالأب الرحيم"(٢).

٢- تربيته على المعاملة الحسنة للفقراء والسائلين:

قال تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[الضحى١٠] أي: "ولا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي رده عن مطلوبه بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف وإحسان"(٣).

"فلا تنهر السائل في العلم المسترشد، وقيل: فلا تكن جبارًا، ولا متكبرًا، ولا فَحَّاشاً، ولا فَظّا على الضعفاء من عباد الله. وقيل: يعني رَدَّ المسكين برحمة ولين"(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٢٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٢٧.

"وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد"(١).

وقد كان رسول الله ﷺ كذلك: فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمِّياه ما شأنكم تنظرون إلي!! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ **فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني**، قال: ((**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**))(٢).

٣- تربيته على حسن الخلق عموما:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:٤].

قال البقاعي: "وهو الإسلام الذي دعا إليه القرآن لا بالبلاء ينحرف، ولا بالعطاء ينصرف، لأن خلقه القرآن، فلا يتحرك ولا يسكن إلا بأمره ونهيه، فهذا الخلق نتيجة الهدى والهدى نتيجة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧) مطولاً.

العقل، وهو سبب السعادة، فأفهم ذلك عدم سعادتهم لعدم عقولهم.. كان متخلقاً بأخلاق الله تعالى والتخلق بأخلاقه أن ينزه علمه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم وحلمه عن السفه.

والخلق الحسن تارة مع الله، وتارة مع حكم الله، وتارة مع الخلق، فمع الله بالتعظيم والإجلال، ومع حُكْمِه: بالصبر في الضراء والبأساء، والشكر في الرخاء، والامتثال للأوامر، والانزجار عن النواهي؛ عن طيب قلب مسارعة وسماحة، وحسن الخلق مع الخلق بث النصفة في المعاملة وحسن المجاملة في العشرة.

ولما كان الإسلام أشرف الأديان، أعطاه الله تعالى أقوى الأخلاق وأشرفها وهو الحياء كما روي أن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء، ومن الحياء حياة القلب، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين، ولا يجزي بالسيئة السيئة؛ لكن يعفو ويصفح ويحسن"[1].

إن "الناظر في هذه العقيدة، كالناظر في سيرة رسولها، يجد العنصر الأخلاقي بارزاً أصيلاً فيها، تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء.. الدعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد.. والتشريعات في هذه العقيدة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور والسلوك".

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢٠/ ٢٩٢.

٤- الإعداد الخلقي للنبي ﷺ لنبيه قبل البعثة:

فعندما رجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده بعد نزول الوحي عليه أول مرة، دخل على أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: ((**زملوني زملوني**))، فزملته حتى ذهب عنه الروع، ثم لما أخبر خديجة الخبر، قال: ((**لقد خشيت على نفسي**))، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، **إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**[(١)].

وقد اشتهر ﷺ في مكة قبل البعثة بالصادق الأمين، حتى إن كفار قريش كانوا يتركون عنده الأمانات مع مخالفتهم له في العقيدة، وقد ترك علياً رضي الله عنه عند هجرته ﷺ لرد الودائع والأمانات لأهلها[(٢)].

وهذه الأخلاق كانت مثابة إقامة الحجة على أعدائه في بداية دعوته فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادى ((**يا بنى فهر، يا بنى عدى...**)). لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ: ((**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟**)). قالوا نعم، **ما جربنا عليك إلا صدقا..**"[(٣)]، وفي رواية: "**ما جربنا عليك كذباً**"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (٣).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام في حادثة الهجرة ٢/٤٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: {وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفظ جناحك} [الشعراء: ٢١٥] (٤٧٧٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب{وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٥] (٤٩٧١)، ومسلم كتاب في الإيمان، باب {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٥] (٢٠٨).

٥- تعليم النبي ﷺ الرفق بالمدعوين وتبشيرهم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾[الأنفال: ٧٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: ((**إني قد عرفت أن أناسا من بني هاشم وغيرهم، قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً منهم -أي: من بني هاشم -فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرها**))[(١)].

٦- التواضع:

قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٥] فقد "بين الله لرسوله كيف يعامل المؤمنين الذين يستجيبون لدعوة الله على يديه، إنه اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة. وكذلك كان رسول الله ﷺ مع المؤمنين طوال حياته. فقد كان خلقه القرآن. وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم".

٧-النظافة:

قال تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾[المدثر: ٤] "أي ينبغي أن تكون الثياب التي تلبسها مطهرة عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون مكتسبة من وجه حلال الاحتمال"[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق، وانظر تاريخ الطبري ٢/٤٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٢٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٣٤٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٩١.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣٠/ ١٦٩.

و"المراد بثيابه الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات في جميع الأوقات، خصوصاً في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأموراً بتطهير الظاهر فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن"[١].

"إنه أمر له ﷺ بالتخلق بالأخلاق الحسنة الموجبة لقبول الإنذار بعد أمره عليه الصلاة والسلام بتخصيصه ربه عز وجل بالتكبير الذي ربما يوهم إباءه خفض الجناح لما سواه عز وجل واقتضاءه عدم المبالاة والاكتراث بمن كان فضلا عن أعداء الله جل وعلا فكان ذكره لدفع ذلك التوهم.

إنه الأمر بالتنزه عن المنفر القولي والفعلي كالفحش والفظاظة والغلظة إلى غير ذلك"[٢].

إن "الطهارة هي الحالة المناسبة للتلقي من الملأ الأعلى. وهي بعد هذا وذلك ضرورية لملابسة الإنذار والتبليغ، ومزاولة الدعوة في وسط التيارات والأهواء والمداخل والدروب وما يصاحب هذا ويلابسه من أدران ومقاذر وأخلاط وشوائب، تحتاج من الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك استنقاذ الملوثين دون أن يتلوث، وملابسة المدنسين من غير أن يتدنس".

٨- عدم المنة بالعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[المدثر: ١ – ٧].

عن الحسن والربيع: "لا تَمْنُنْ بحسناتك على الله تعالى مستكثرا لها، أي: رائيا إياها كثيرة فتنقص عند الله عز وجل"[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٨٩٥.

(٢) روح المعاني للألوسي ١٥/ ١٣٢.

(٣) روح المعاني للألوسي ١٥/ ١٣٣.

وقيل: "أي على أحد بدعائك له، أو بشيء تعطيه له على جهة الهبة أو القرض، بأن تقطع لذة من أحسنت إليه بالتثقيل عليه بذكرك على جهة الاستعلاء والاستكثار بما فعلته معه. ولا تطلب أن تعطي أجراً أو أكثر مما أعطيت"(١).

وقيل: "أي: لا تمنن على ربك بالأعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقرباً بذلك إليه غير ممتن به عليه

ولا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين والوحي كالمستكثر لذلك الإنعام فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله فلا منة لك عليهم.

والحكمة من النهي وجوه:

الأول: لأجل أن تكون عطاياه لأجل الله لا لأجل طلب الدنيا، وذلك لأن طلب الدنيا لا بد وأن تكون الدنيا عنده عزيزة، ومن كان كذلك لم يصلح لأداء الرسالة.

الثاني: أن من أعطى غيره القليل من الدنيا ليأخذ الكثير لا بد وأن يتواضع لذلك الغير ويتضرع له، وذلك لا يليق بمنصب النبوة، لأنه يوجب دناءة الآخذ"(٢).

الثالث: النبي ﷺ "سيقدم الكثير، وسيبذل الكثير، وسيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء. ولكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتن به.

وهذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحس بما تبذل فيها. فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تنساه. بل حين

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢١ / ٤٤.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣٠/ ١٧١-١٧٢.

لا تستشعره من الأصل لأنها مستغرقة في الشعور بالله شاعرة بأن كل ما تقدمه هو من فضله ومن عطاياه. فهو فضل يمنحها إياه، وعطاء يختارها له، ويوفقها لنيله. وهو اختيار واصطفاء وتكريم يستحق الشكر لله. لا المن والاستكثار".

الرابع: "الأليق بالمعطي من الخلق أن يستقل ما أعطى، ويشكر الله الذي وفقه له، فإنه إذا زال الاستكثار حصل الإخلاص، لأنه لا يتعلق همه بطلب الاستمثال، فكيف بالاستقلال، فيكون العمل في غاية الخلوص لا يقصد به ثواباً أصلاً، ولا يراد لغير وجه الله تعالى، وهذا هو النهاية في الإخلاص"[١].

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢١/ ٤٤.

الفصل الثاني

الرعاية العلمية من الله تعالى لخاتم الأنبياء

من المعالم الأساسية في رعاية الله لنبيه ﷺ هي الرعاية العلمية، وهي محور عملية الرعاية، وقد كانت هذه الرعاية عبارة عن رسائل وتوجيهات ربانية في كتاب الله خوطب بها رسول الله ﷺ خطابا مباشرا.

ويمكن إجمال جوانب تلك الرعاية من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: رعايته العلمية قبل البعثة وبدايتها.

المبحث الثاني: شمولية الرعاية التعليمية للنبي ﷺ وطريقه ونوعيته.

المبحث الثالث: تعليمه جوامع آداب طلب العلم.

المبحث الأول

رعايته العلمية قبل البعثة وبدايتها

يمكن إبراز معالم رعاية الله لنبيه ﷺ في هذا الجانب في النقاط التالية:

أولا: نشأة النبي ﷺ في بيئة تساعده على التعلم:

فقد نشأ في بادية بني سعد حيث صفاء النفوس، وذكاء العقول: قال الشيخ محمد الغزالي: "وتنشئة الأولاد في البادية، ليمرحوا في كنف الطبيعة، ويستمتعوا بجوها الطلق وشعاعها المرسل، أدنى إلى تزكية الفطرة وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق الأفكار والعواطف.

ونحن نقدر لأهل مكة اتجاههم إلى البادية لتكون عرصاتها الفساح مدارج طفولتهم، وكثير من علماء التربية يودون لو تكون الطبيعة هي المعهد الأول للطفل حتى تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه، ويبدو أن هذا حلم عسر التحقيق"(١).

وكذلك: تعلم رسول الله ﷺ في بادية بني سعد اللسان العربي الفصيح، وأصبح فيما بعد من أفصح الخلق، فعندما قال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما رأيت أفصح منك. فقال ﷺ: ((**وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد**))(٢).

---

(١) فقه السيرة للغزالي ص٦٠، ٦١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١، ٥٣ (٢٤٨) وتاريخ ابن خثيمة ٢/ ١٩٧٨، والروض الأنف للسهيلي (١/١٨٨).

ثانيا: بدء نبوته بالأمر بالتعلم:

وذلك متمثل في الأمر بالقراءة، قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾

هذه خمس آيات هي أول توجيه لنبينا محمد ﷺ، فيا ترى ما هي أسرار ذلك التوجيه وهذه الرعاية العلمية وأثرها في بداية إعداد النبي ﷺ للدعوة؟

- **البداية بالأمر بالبسملة:** ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ إنها السورة الأولى من هذا القرآن، والتوجيه الأول، في اللحظة الأولى من الاتصال بالوحي، وفي أول خطوة في طريق التعلم فهي تبدأ باسم الله.

وفي هذا إشارة إلى بداية كل أمر أن تكون بالبسملة، ونرى هذا جلياً في تعليم النبي ﷺ لأمته حيث يأمرهم في بداية كل أمر أن يقولوا بسم الله، في الوضوء ودخول المسجد، ودخول البيت والخروج منه، وفي كل أحوالهم.

"بهذه وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة، كل أمر، كل حركة، كل خطوة، كل عمل، باسم الله، وعلى اسم الله، باسم الله تبدأ، وباسم الله تسير، وإلى الله تتجه، وإليه تصير".

- **بيان كرم الله تعالى على نبيه بالتعليم:** ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾: "فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علَّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم"[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٢٠.

- المنة بتعليم الإنسان أدوات اكتساب العلم: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾:

"كانت بداية الوحي الإلهي فيها إشادة بالقلم وخطره، والعلم ومنزلته، في بناء الشعوب والأمم وفيها إشارة واضحة بأن من أخص خصائص الإنسان العلم والمعرفة".

ثالثا: بيان مصدر العلم والتعلم:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[القيامة: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[الأعلى: ٦]، وقال تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

"إذا نظرت إلى الآية مستقلة عما تضمنه حديث عائشة ﵂ في وصف سبب نزولها كان الاستئناف ناشئاً عن سؤال يجيش في خاطر الرسول ﷺ أن يقول كيف: أقرأ وأنا لا أحسن القراءة والكتابة فأجيب بأن الذي علم القراءة بواسطة القلم -أي بواسطة الكتابة- يعلمك ما لم تعلم.

وإذا قرنت بين الآية وبين الحديث المذكور كان الاستئناف جواباً عن قوله لجبريل ((**ما أنا بقارئ**)) فالمعنى: لا عجب في أن تقرأ، وإن لم تكن من قبل عالماً بالقراءة، إذ العلم بالقراءة يحصل بوسائل أخرى؛ مثل: الإملاء، والتلقين، والإلهام، وقد علم الله آدم الأسماء ولم يكن آدم قارئاً"[(١)].

"وفي هذا كذلك إبراز مصدر التعليم؛ إن مصدره هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه، فهو من ذلك المصدر الواحد، الذي ليس هناك سواه".

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٤٣٦.

"وفي هذا الحادث العظيم تظهر مكانة ومنزلة العلم في الإسلام، فأول كلمة في النبوة تصل إلى رسول الله هي الأمر بالقراءة، وما زال الإسلام يحث على العلم ويأمر به ويرفع درجة أهله ويميزهم على غيرهم قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ٩].

إن مصدر العلم النافع من الله عز وجل، فهو الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، ومتى حادت البشرية عن هذا المنهج، وانفصل علمها عن التقيد بمنهج الله تعالى رجع علمها وبالاً عليها وسببًا في إبادتها"[١].

رابعا: هداه الله تعالى إلى الحق:

قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ [الضحى ٧]، "وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق"[٢].

فالله تعالى يمتن على نبيه ﷺ أن "قد نشأت في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد، منحرفة السلوك والأوضاع، فلم تطمئن روحك إليها. ولكنك لم تكن تجد لك طريقاً واضحاً مطمئناً. لا فيما عند الجاهلية ولا فيما عند أتباع موسى وعيسى الذين حرفوا وبدلوا وانحرفوا وتاهوا.. ثم هداك الله بالأمر الذي أوحى به إليك، وبالمنهج الذي يصلك به، والهداية من حيرة العقيدة وضلال الشعاب فيها هي المنة الكبرى، التي لا تعدلها منة؛ وهي الراحة والطمأنينة من القلق الذي لا يعدله قلق؛ ومن التعب الذي لا يعدله تعب".

(١) انظر: الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحيى اليحيى ص٣٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٩٢٨.

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾[الفتح: ١ – ٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢]

قال شيخ الإسلام: «فمن يهدي الخلق كيف يكون حائراً!! والله قد ذم الحيرة في القرآن في قوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام: ٧١].

فالحيرة من جنس الجهل والضلال، ومحمد ﷺ أكمل الخلق علما بالله وبأمره، وأكمل الخلق اهتداء في نفسه وأهدى لغيره، وأبعد الخلق عن الضلال والجهل، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم ١– ٤]»[1].

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/٥٧.

المبحث الثاني
شمولية الرعاية التعليمية للنبي وطريقها ونوعيتها

أولا: علَّم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ تعليما شاملا من خلال الوحي:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل٨٩] "يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب"[(١)]. فالله تعالى نزل على نبينا محمد ﷺ القرآن: "أي تبيينا لكل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام، وما الناس محتاجون إليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم"[(٢)].

ولذا قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام ٣٨]، ونزل عليه في حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

وكان هذا يلقي على عاتق رسول الله ﷺ عبئاً ثقيلاً، يكافىء هذه الرعاية الجليلة وقد أدرك رسول الله ﷺ هذه النعمة وأدرك الواجب فقام به على أكمل وجه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علما قال فقال ﷺ: ((**ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم**))[(٣)].

---

(١) جامع البيان للطبري ١٧/ ٢٧٨.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٤٠٢.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧) وصححه الألباني في الصحيحة ٤/ ٤١٦(١٨٠٣).

ثانيا: علَّمه الله تعالى ما لم يكن يعلم:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

أي: "ومن فضل الله عليك، يا محمد، مع سائر ما تفضَّل به عليك من نعمه، أنه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من خبر الأولين والآخرين، وما كان وما هو كائن، فكل ذلك من فضل الله عليك، يا محمد، مُذْ خلقك فاشكره على ما أولاك من إحسانه إليك"(١).

"وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه ﷺ كما وصفه الله قبل النبوة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢]"(٢).

فالقرآن "محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ أي: قبل نزوله عليك ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب"(٣)، فعلمك الله علمًا لَدُنيّاً من غير أن تعرف القراءة والكتابة.

ثالثا: تعليمه القرآن وإيتاؤه الحكمة:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء: ١١٣].

---

(١) جامع البيان للطبري ٩/ ٢٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق ص ٧٦٢.

أي: "ومن فضل الله عليك، يا محمد، مع سائر ما تفضَّل به عليك من نعمه، أنه أنزل عليك ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وهو القرآن الذي فيه بيان كل شيء وهدًى وموعظة، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعني: وأنزل عليك مع الكتاب الحكمة، وهي ما كان في الكتاب مجملا ذكره، من حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وأحكامه، ووعده ووعيده"[(١)].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[الكهف: ١] "في إيثار إنزال التنزيل من بين سائر نعوته العليّة، تنبيه على أنه أعظم نعمائه. فإنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد. ولا شيء في معناه يماثله"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: ١] "وإنما يتعرف المؤمن على عظمة القرآن عندما يتعرف على عظمة المتكلم به: الله رب العالمين؛ إذ قيمة الكلام إنما هي بقيمة من تكلم به، فإذا أبصرت هذا السر، انكشفت لك كنوز القرآن"[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾[الإنسان: ٢٣] "هي اللفتة الأولى إلى مصدر التكليف بهذه الدعوة، إنها من الله. هو مصدرها الوحيد. فالله الذي نزل القرآن وكلف بهذه الدعوة لن يتركها. ولن يترك الداعي إليها، وهو كلفه فنزّل القرآن عليه".

---

(١) جامع البيان للطبري ٩/ ٢٠٠.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٤.

(٣) مجالس القرآن ص ١٥٩.

المبحث الثالث
تعليمه جوامع آداب طلب العلم

من تأهيل الله تعالى لنبيه أن أمره ببعض التوجيهات الجامعة لآداب طلب العلم، ومنها:

أولا: أمره تعالى بطلب الزيادة في العلم:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه١١٤] قال ابن حجر رحمه الله: "إن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم"(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإن الله سبحانه وتعالى هدى نبيه بما أوحاه إليه، وعلمه ما لم يكن يعلم، وأمره بسؤال الزيادة من العلم بقوله: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وهذا يقتضي أنه كان عالما، وأنه أُمِرَ بطلب المزيد من العلم"(٢).

ثانيا: عدم الاستعجال في طلب العلم:

قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[طه: ١١٤].

قال مجاهد: "لا تعجل بقراءة ما أنزل إليك لأصحابك، ولا تمله عليهم حتى تتبين لك معانيه"(٣).

فهو "أدب لطالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تدبره وتأمله للعلم، ولا يستعجل بالحكم على الأشياء، ولا يعجب بنفسه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل"(٤).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١/ ١٧٠.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/ ٥٧.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ١٩٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٦٦.

فـ "درجات العلم تبدأ بكتاب الله حفظًا وفهمًا، ثم يتزود الإنسان من العلم ما شاء؛ ولذلك أتبع في الآية تلقي القرآن بطلب التزود من العلم"(١).

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[القيامة: ١٦]. فقد كان أول الوحي لرسول الله ﷺ هي الرؤيا الصالحة، والمراد بها رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتزكو بها الروح(٢)، ولعل الحكمة من الابتداء بالمنام، أنه لو لم يبتدئه بالرؤيا، وأتاه الملك فجأة ولم يسبق له أن رأى ملكًا من قبل، فقد يصيبه شيء من الفزع، فلا يستطيع أن يتلقى منه شيئاً، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يأتيه الوحي أولا في المنام ليتدرب عليه ويعتاده(٣).

فكان ﷺ قبل نزول جبريل عليه السلام عليه بالوحي في غار حراء يرى الرؤى الجميلة فيصحو منشرح الصدر، متفتح النفس لكل ما في الحياة من جمال(٤) يراها في النوم فتجيء في اليقظة كاملة، واضحة؛ شبهتها السيدة عائشة ﵂ بظهور ضوء الصبح(٥).

"في هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهماً يتمكن به من الكلام عليه"(٦).

(١) من تدبرات د. محمد الربيعة ضمن مجموعة (ليدبروا آياته)

(٢) طريق النبوة والرسالة، حسين مؤنس ص ٢١.

(٣) منامات الرسول ﷺ، عبد القادر الشيخ إبراهيم ص٥٧.

(٤) طريق النبوة والرسالة لحسين مؤنس ص٢٢.

(٥) محمد رسول الله، محمد صادق عرجون ١/٢٥٤.

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٩٩.

و"هذا يعلمنا أسلوبا من أساليب التربية، وهو أسلوب التوجيه في تعليم ما هو الأفضل عقب الممارسة التي يراد تصحيحها، أو تقويمها، ولا سيما عند ممارسة عمل لا يصح التمادي فيه"(١).

ثالثا: التربية على العمل بالعلم:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]. "يعني: فإذا بيَّناه لك بقراءتنا، فاتبع ما بيناه لك بقراءتنا"(٢). أي: "اعمل به حتى يصير لك خلقاً فيكون قائدك إلى كل خير"(٣).

رابعا: الطمأنة بعدم نسيان العلم وأهمية تذاكر العلم:

قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[الأعلى:٦-٧] أي: "سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد ﷺ، أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة"(٤).

و"فيه تأكيد على أهمية القراءة وأنها من أعظم ما ينفع الإنسان ويحقق له زكاة العقل والنفس، وإشارة إلى أنّ الصفات الموجودة فيه هي من فضل الله سبحانه وتعالى، ومن ثَمّ فأثرها ينبغي أن يكون في طاعته، فقوة الذاكرة -مثلا- نعمة ينبغي أن توظف في الخير للإنسان أو لبني جنسه"(٥).

---

(١) معارج التفكر للميداني ٢/ ٤٨٩.

(٢) جامع البيان للطبري ١/ ٩٧.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٢١/ ١٠١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٠.

(٥) اشراقات قرآنية في جزء النبأ - سلمان العودة ١/ ٣٥٧.

الفصل الثالث

الرعاية الاجتماعية من الله تعالى لخاتم الأنبياء

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: رعايته حال نشأته ﷺ.

المبحث الثاني: تهيئة الاستقرار الأسرى للنبي ﷺ.

المبحث الثالث: الاهتمام بأهل بيته ﷺ.

المبحث الرابع: الرعاية المادية.

المبحث الخامس: الرعاية الأمنية.

المبحث الأول

رعاية النبي ﷺ حال نشأته

حظي رسول الله ﷺ برعاية الله له حال نشأته؛ إعداداً له للتعلم والدعوة والتبليغ، ويمكن إبراز تلك الرعاية في المطالب التالية:

المطلب الأول

جعله الله تعالى من خير قبائل العرب

يشهد لذلك عدد من الأمور:

أولا: أنه من قبيلة مصطفاة:

وذلك فيما رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع**))[1].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٠٧ح(١٧٠٨) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح دون قوله: ((اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل)) فقد تفرد محمد بن مصعب -وهو القرقساني- وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد، وهو عند مسلم برقم (٢٢٧٦).

ثانيا: شرف قريش:

ويظهر هذا من خلال حادثة الفيل وما فيها من توطئة لبعثة النبي ﷺ، قال الماوردي: "وآية الرسول في قصة الفيل أنه كان في زمانه حملا في بطن أمه بمكة؛ لأنه ولد بعد خمسين يومًا من الفيل، وبعد موت أبيه في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فكانت آية في ذلك من وجهين: **أحدهما**: أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا، فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله ﷺ أن يجري عليه السبي حملاً ووليدًا.

والثاني: أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم، لأنهم كانوا بين عابد صنم، أو متدين وثن، أو قائل بالزندقة، أو مانع من الرجعة، ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الإسلام، تأسيًا للنبوة، وتعظيمًا للكعبة.. ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى في جيش الفيل تهيبوا الحرم وأعظموه، وزادت حرمته في النفوس ودانت لقريش بالطاعة، وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم، فزادوهم تشريفًا وتعظيمًا وقامت قريش لهم بالرفادة والسدانة والسقاية، والرفادة مال تخرجه قريش في كل عام من أموالهم يصنعون به طعامًا للناس أيام منى، فصاروا أئمة ديّانين، وقادة متبوعين، وصار أصحاب الفيل مثلاً في الغابرين"[١].

(١) أعلام النبوة للماوردي ص١٨٥-١٨٩.

لقد كان وما زال شرف النسب له المكانة في النفوس؛ لأن ذا النسب الرفيع لا تنكر عليه الصدارة، نبوة كانت أو ملكا، وينكر ذلك على وضيع النسب، فيأنف الكثير من الانضواء تحت لوائه، ولما كان محمد ﷺ يعد للنبوة هيأ الله تعالى له شرف النسب ليكون مساعدا له على التفاف الناس حوله(١).

المطلب الثاني
شرف والديه وجده وعمه وزوجته

"إن معدن النبي ﷺ طيب وطيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بمعاليها وفضائلها، والرسل والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وطهر أصلابهم، ويُعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويثقون بهم"(٢).

ويتضح هذا من خلال النقاط التالية:

أولًا: أبوه وأمه من خير الناس:

قال ابن هشام: "فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسبا، وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه ﷺ"(٣).

فقد خطب عبدالمطلب وكان سيدا من سادات بني هاشم لابنه عبدالله آمنة بنت وهب، فقد كان «وهب سيد بني زهرة نسبا وشرفا، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا(٤).

---

(١) انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ لمحمد قلعجي ص٩٦.

(٢) السيرة النبوية لأبي فارس ص١٠٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١١٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٦.

"فعبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبد المطلب بمائة من الإبل، زوجه من أشرف نساء مكة نسبًا، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف"[١].

ثانيا: مكانة جده عبدالمطلب:

فجد النبي ﷺ عبد المطلب كذلك من خير الناس في قومه ويتضح ذلك من خلال موقفين:

الموقف الأول: حفر عبد المطلب جد النبي ﷺ لزمزم:

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال لي: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال لا تنزف أبداً ولا تُذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم -أي الذي في ساقه بياض- عند قرية النمل.

قال: فلما بين شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعول ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي- أي حافة البئر- كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه أن يكونوا شركاءه في الماء فرفض حتى اتفقوا على أن يحكم بينهم راهب في الشام، فركب عبد المطلب وركب من كل قبيلة من قريش نفر، حتى إذا كانوا في الطريق نفد ماء عبد المطلب وأصحابه، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة، حفر كل رجل لنفسه قبراً حتى إذا مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واراه أصحابه، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله

(١) وقفات تربوية مع السيرة النبوية لأحمد فريد ص٤٦.

إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذ بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم، فقالت قريش إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم"[(١)].

الموقف الثاني: دوره في قصة أصحاب الفيل:

وهذه القصة المعروفة في إرادة ملك من ملوك اليمن هدم الكعبة، ويهمنا هنا دور عبد المطلب في هذه القصة حيث وردت الروايات أنه لما أقبل أبرهة على مكة أخذ غنم لعبد المطلب ثم بعث أبرهة إلى أهل مكة فقال: سل عن شريفها ثم أبلغه أني جئت لأهدم هذا البيت فقال عبد المطلب: ما عندنا له قتال، فقال: سنخلي بينه وبين البيت، فإن خلى الله بينه وبينه فوالله ما لنا به قوة، ثم انطلقا حتى دخل على أبرهة، **وكان عبد المطلب رجلاً عظيمًا جسيمًا وسيما**، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه معه، فقال له عبد المطلب: أيها الملك إنك قد أصبت لي مالا عظيما فارددده علي، فقال له: لقد أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك، قال: ولم؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم فأهدمه

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٤٢-١٥٥) السير والمغازي لابن إسحاق ص٢٤، ٢٥، والبيهقي في الدلائل ١/٩٣-٩٥.

فلم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتي بعير لك؟. قال: أنا رب هذه الإبل، ولهذا البيت رب سيمنعه، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت وذاك، قال: فأمر بإبله فردت عليه، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريش الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب حتى نصر الله بيته[١].

وذكر ابن إسحاق أن عبد المطلب أخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده[٢].

ثالثا: مكانة عم النبي ﷺ:

فقد كان لعم النبي ﷺ أبو طالب مكانة كبيرة عند قريش تحبه وتقدره، وكان من أفاضلهم، حتى أنه لمكانة أبي طالب في قريش لم يستطع أحد أن يؤذي رسول الله ﷺ طيلة حياته، وقد نذر نفسه لحماية النبي ﷺ بعد محاولات عديدة من قريش لمحاولة ثني أبي طالب عن نصرته[٣].

وقد اعترفت بذلك كفار قريش عندما ذهبوا إليه لتنحيته عن نصرة النبي ﷺ، فقالوا له: "**يا أبا طالب، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا**، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين"[٤].

---

(١) السيرة النبوية لأبي حاتم البستي ص٣٤-٣٩، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٣٠-٣٧.باختصار.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٨٤-٩١.

(٣) ينظر أخبار حماية أبي طالب للنبي ﷺ في سيرة ابن هشام١/ ٢٤٠ وما بعدها. والبداية والنهاية ٣/ ٤٨. صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ص٧٨.

(٤) سيرة ابن هشام١/ ٢٤٠.

رابعاً: تزويجه خير نساء العالمين:

فزوجة النبي ﷺ خديجة بنت خويلد من خير نساء العالمين، وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة، من يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على الزواج منها لو يقدر عليه[١].

فقد تزوج النبي ﷺ خير نساء العرب في الفضل والحكمة فقد كانت رحلته سببًا لزواجه من السيدة خديجة بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكريم أخلاقه.

فقد اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره، وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش همومه.

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "وخديجة مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبًا شديدة الحساسية، ويلقون غَبنا بالغًا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادًا كبيرًا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم"[٢].

---

(١) سيرة ابن هشام١/١٨٧ وما بعدها باختصار.

(٢) فقه السيرة للغزالي، ص٧٥.

المطلب الثالث
رعاية الله للنبي ﷺ في يتمه

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى٦]. أي: "وجدك لا أم لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله الله عمه أبا طالب، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين"(١).

"وذلك أن أباه تُوفِّي وهو حَمْلٌ في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد، عليه السلام، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب. ثم لم يزل يحوطه وينصره ويَرفع من قَدره وَيُوقّره، ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره"(٢).

وظهرت رعاية الله لنبيه ﷺ في يتمه في مظاهر كثيرة منها:

أولا: من رعاية الله للنبي ﷺ أن جعله يتيما:

يُتم النبي ﷺ كان أسلوباً ربانياً لرعايته ﷺ، فمن حكمة الله "أن ينشأ رسوله يتيمًا، تتولاه عناية الله وحدها، بعيدًا عن الذراع التي تمعن في تدليله، والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فيلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا"(٣).

"اختار الله له اليتم؟ لكي يعرف قدر اليتامى فيقوم بحقهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٦/٨.

(٣) فقه السيرة للبوطي ص٤٦.

وصلاح أمرهم، وليكون اليتيم مشاركا له في الاسم فيكرم لأجل ذلك، وإن كان له أب أو أم كان اعتماده عليهما، فسلب عنه الوالدان حتى لا يعتمد من أول صباه إلى آخر عمره على أحد سوى الله"[١].

وكانت المصائب التي أصابت النبي ﷺ منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة، كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر رقة وتواضعًا[٢].

فمن حكمة الله تعالى أن يكون محمدا ﷺ يتيما حتى لا يعلق قلبه إلا بخالقه، ولا يرجو إلا ما عند الله تعالى.

ثانياً: رعاية الله له من خلال كفالة أمه ثم جده له:

قال ابن إسحاق: "فلما وضعته أمه ﷺ، أرسلت إلى جده عبد المطلب: أنه قد ولد لك غلام، فأته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه..

وزعموا أن عبد المطلب أخذه، فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها والتمس لرسول الله ﷺ الرضعاء"[٣].

كان يُؤْثِره على أبنائه أي أعمام النبي ﷺ فقد كان جده

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٣١/ ٢٠٠.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحدث ١/ ٥٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٠.

مهيبًا، لا يجلس على فراشه أحد من أبنائه مهابة له، وكان أعمامه يتهيبون الجلوس على فراش أبيهم، وكان ﷺ يجلس على الفراش ويحاول أعمامه أن يبعدوه عن فراش أبيهم، فيقف الأب الجد بجانبه، ويرضى أن يبقى جالساً على فراشه متوسمًا فيه الخير، وأنه سيكون له شأن عظيم[١].

وكان جده يحبه جداً، وكان إذا أرسله في حاجة جاء بها وذات يوم أرسله في طلب إبل فتأخر فلما رجع النبي ﷺ وجاء بالإبل فقال له: يا بني، لقد حزنت عليك كالمرأة حزنًا لا يفارقني أبدًا[٢].

ثالثا: رعاية الله لنبيه ﷺ من خلال رضاعته في بني سعد:

فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: "لما ولد رسول الله ﷺ قدمت حليمة بنت الحارث، في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسون الرضعاء بمكة قالت حليمة: خرجت في أوائل النسوة ومعي زوجي مكة فما بقي منا أحد إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فكرهته، فقلنا: إنه يتيم، وإنما يكرم الظئر ويحسن إليها الوالد، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده، فكل صواحبي أخذت رضيعًا، فلما لم أجد غيره، رجعت إليه وأخذته، والله ما أخذته إلا إني لم أجد غيره،.. ثم ذكرت ما حصل لها من بركته"[٣].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص١٠١.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ٥٥٢٤، وصححه إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية ص٥٦.

(٣) ينظر القصة: في مسند أبي يعلى١٣/ ٣٩ (٧١٦٣)، ومجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٢٢١، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢١٤ من طريق ابن إسحاق وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية السيرة، قال الذهبي في السيرة النبوية ص٨: هذا حديث جيد الإسناد وله شواهد تقويها.

ومن مظاهر الرعاية الربانية للنبي ﷺ في رضاعته في بني سعد:

١- أنه ولد يتيماً كانت المرضعات تنفر عنه لأنها ستحرم من كرم والده، حتى هيئ الله له حليمة السعدية فأخذته كي ترجع بمن ترضعه.

٢- بركة النبي ﷺ على السيدة حليمة من أبرز مظاهر إكرام الله له، وأكرم بسببه بيت حليمة، "فخلف ذلك حكمة أن يُحب أهل هذا البيت هذا الطفل ويحنوا عليه ويحسنوا في معاملته ورعايته وحضانته"(١).

٣- وتعلم رسول الله ﷺ في بادية بني سعد اللسان العربي الفصيح، وأصبح فيما بعد من أفصح الخلق، فعندما قال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما رأيت أفصح منك. فقال ﷺ: **((وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد))**(٢).

رابعاً: رعاية الله لنبيه ﷺ في يتمه من خلال حادثة شق الصدر:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: **((أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه- أي جمع بعضه إلى بعض-، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره))**(٣).

---

(١) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص١٠٥.

(٢) الروض الأنف للسهيلي ١/ ١٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (٢٥٩).

ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثمًا، ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش[١].

وكذلك "يبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول ﷺ، وتهييؤه للعصمة، والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به، وتصديقهم برسالته. إنها إذن عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم"[٢].

"وإن إخراج العلقة منه تطهير للرسول ﷺ من حالات الصبا اللاهية العابثة المستهترة، واتصافه بصفات الجد والحزم والاتزان وغيرها من صفات الرجولة الصادقة، كما تدلنا على عناية الله به وحفظه له، وأنه ليس للشيطان عليه سبيل"[٣].

خامسا: عمله ﷺ في الرعي ودوره في التنشئة:

كان أبو طالب مُقلاً في الرزق فعمل النبي ﷺ برعي الغنم مساعدة منه لعمه، فلقد أخبر ﷺ عن نفسه الكريمة وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعوا الغنم، أما هو فقد رعاها لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: ((ما

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/١٠٤.

(٢) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص٤٧ .

(٣) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص١٠٦، ١٠٧.

بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم)) فقال: أصحابه: وأنت؟ قال: **((نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة))**[١].

إن رعي الغنم كان يتيح للنبي ﷺ الهدوء الذي تتطلبه نفسه الكريمة، ويتيح له المتعة بجمال الصحراء، ويتيح له التطلع إلى مظاهر جلال الله في عظمة الخلق، ويتيح له مناجاة الوجود في هدأة الليل وظلال القمر ونسمات الأشجار، يتيح له لونًا من التربية النفسية من الصبر والحلم والأناة، والرأفة والرحمة، والعناية بالضعيف حتى يقوى، وذم قوى القوي حتى يستمسك للضعيف ويسير بسيره، وارتياد مشارع الخصب والري وتجنب الهلكة ومواقع الخوف من كل ما لا تتيحه حياة أخرى بعيدة عن جو الصحراء وهدوئها، وسياسة هذا الحيوان الأليف الضعيف[٢].

وتذكرنا رعايته للغنم بأحاديثه ﷺ التي توجه المسلمين للإحسان للحيوانات[٣] فكان رعي الغنم للنبي ﷺ دربة ومرانًا له على سياسة الأمم.

ورعي الغنم يتيح لصاحبه عدة خصال تربوية منها:

١ -"**الصبر**: على الرعي من طلوع الشمس إلى غروبها، نظرا لبطء الغنم في الأكل، فيحتاج راعيها إلى الصبر والتحمل، وكذا تربية البشر"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب رعي الغنم على قراريط (٢٢٦٢) والقيراط جزء من الدينار أو الدرهم.

(٢) انظر: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون ١/١٧٧.

(٣) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/١٠٦.

(٤) انظر: مدخل لفهم السيرة، اليحيى ص١٢٤ .

إن الراعي لا يعيش في قصر منيف ولا في ترف وسرف، وإنما يعيش في جو حار شديد الحرارة، وبخاصة في الجزيرة العربية، ويحتاج إلى الماء الغزير ليذهب ظمأه، وهو لا يجد إلا الخشونة في الطعام وشظف العيش، فينبغي أن يحمل نفسه على تحمل هذه الظروف القاسية، ويألفها ويصبر عليها.

٢ -**التواضع**: إذ طبيعة عمل الراعي خدمة الغنم، والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها والنوم بالقرب منها، وربما أصابه ما أصابه من رذاذ بولها أو شيء من روثها فلا يتضجر من هذا، ومع المداومة والاستمرار يبعد عن نفسه الكبر والكبرياء، ويرتكز في نفسه خلق التواضع.

٣ -**الشجاعة**: فطبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة، فلا بد أن يكون على جانب كبير من الشجاعة تؤهله للقضاء على الوحوش ومنعها من افتراس أغنامه.

٤ -**الرحمة والعطف**: إن الراعي يقوم بمقتضى عمله في مساعدة الغنم إن هي مرضت أو كُسرت أو أصيبت، وتدعو حالة مرضها وألمها إلى العطف عليها وعلاجها والتخفيف من آلامها، فمن يرحم الحيوان يكون أشد رحمة بالإنسان، وبخاصة إذا كان رسولاً أرسله الله تبارك وتعالى لتعليم الإنسان، وإرشاده وإنقاذه من النار وإسعاده في الدارين.

٥ -**الكسب من عرق الجبين**[١]: وسيأتي بيانه في الرعاية المادية.

المطلب الرابع

رزقه الله تعالى بالبنين والبنات

فقد أشبع الله تعالى رغبة رسوله ﷺ في الأبوة، ولئلا يعاب عليه شيء فرزقه الأولاد والبنات، قال تعالى رداً على الكفار الذين قالوا أن النبي سينقطع ذكره بموته: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[الكوثر: ٣]. فرزق ﷺ ثلاثة من الأولاد وأربع بنات.

فقد ولدت السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ غلامين وأربع بنات، فالغلامان هما القاسم، وعبد الله، وقد مات القاسم بعد أن بلغ سنًّا تمكنه من ركوب الدابة، ومات عبدالله وهو طفل، وذلك قبل البعثة.

أما بناته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن.

ورزق من مارية القبطية بإبراهيم[٢].

نرى أن النبي ﷺ ذاق مرارة فقْد الأبناء، كما ذاق من قبل مرارة فقد الأبوين، وقد شاء الله -وله الحكمة البالغة- ألا يعيش له ﷺ أحد من الذكور حتى لا يكون مدعاة لافتتان بعض الناس بهم، وادعائهم لهم النبوة، فأعطاه الذكور تكميلا لفطرته البشرية، وقضاء لحاجات

---

(١) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس ص١١٤، ١١٥.

(٢) رسالة الأنبياء لعمر أحمد عمر ١/٢٨.

النفس الإنسانية، ولئلا ينتقص النبي ﷺ في كمال رجولته شانئ، أو يتقول عليه متقول، ثم أخذهم في الصغر، وأيضا ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لا يرزقون البنين، أو يرزقون ثم يموتون، كما أنه لون من ألوان الابتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء[١].

وكأن الله أراد للنبي ﷺ أن يجعل الرقة الحزينة جزءًا من كيانه؛ فإن الرجال الذين يسوسون الشعوب لا يجنحون إلى الجبروت، إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام فهو أسرع الناس إلى مواساة المحزونين ومداواة المجروحين[٢].

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة ١/٢٢٣-٢٢٤.

(٢) فقه السيرة للغزالي ص٧٨.

المبحث الثاني
تهيئة الاستقرار الأسرى للنبي ﷺ

ويبرز هذا الاستقرار الأسري في عدد من المواقف نبرزها من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
إباحة الله لنبيه ﷺ الزيادة على أربع زوجات

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب٥٠].

"يبين الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ ما يحل له من النساء، وما في ذلك من خصوصية له ولأهل بيته، وقد كان في عصمته ﷺ في ذلك الوقت أكثر من أربع زوجات، **تزوج بكل منهن لمعنى خاص**، وكن قد أصبحن أمهات المؤمنين، ونلن شرف القرب من رسول الله ﷺ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة بعد نزول آيتي التخيير. وكان صعباً على نفوسهن رضي الله عنهن أن يفارقهن رسول الله ﷺ – وهذا هو:

السبب الأول لإباحة الزيادة على الأربع لرسول الله ﷺ، فقد نظر الله لهن، فاستثنى رسول الله ﷺ من ذلك القيد – تحديد عدد الزوجات بأربع – وأحل له استبقاء نسائه جميعا معه، وجعلهن كلهن حلالا له، ثم نزل القرآن بعد ذلك بأن لا يزيد عليهن أحد، ولا يستبدل بواحدة منهن أخرى".

والسبب الثاني هو: "أنه لما كان الحُرُّ لفضله على العبد يستبيح

من النساء أكثر مما يستبيحه العبد، لزم أن يكون النبي لفضله على جميع الأمة يستبيح من النساء أكثر مما تستبيحه الأمة.

والسبب الثالث: أن في هذه الإباحة زيادة في الابتلاء للنبي ﷺ.

والسبب الرابع: أن قبائل العرب تتشرف به لأن له بكل قبيلة منها اتصالاً بمصاهرة وغيرها، وكثرة تلك العشائر والقبائل تكون عوناً على أعدائه"[١].

والسبب الخامس الحاجة إلى"«تعليم الناس أمور دينهم"[٢] "فمن الصعب والمستحيل أن تقوم زوجة واحدة أو زوجتان بالأعباء الجسام التي قامت بها تسع نسوة مؤمنات عابدات خاشعات، وما حفظنه من أحكام الشريعة لا يمكن أن تستوعبه المرأة الواحدة حفظا ودراية ورواية مهما أوتيت من قوة الحافظة وفرط الذكاء.

وقد رَوى عن زوجات الرسول ﷺ رجالٌ كثيرٌ ونساءٌ في مختلف الأحكام الشرعية خاصة القضايا النسائية، وكُتُب الحديث شاهد على ذلك"[٣].

السبب السادس: "لكل زوجة من زوجات رسول الله ﷺ قصة، ولكل زواج حكمة وسبب يزيدان في إيمان المسلم بعظمة محمد ﷺ ورفعة شأنه وكمال أخلاقه"[٤] [٥].

---

(١) غاية السول في خصائص الرسول- ابن الملقن ص ١٨٨-١٩١ بتصرف.

(٢) انظر شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ - محمد على الصابوني.

(٣) زوجات النبي الطاهرات، وحكمة تعددهن - محمد محمود الصواف.

(٤) انظر السيرة النبوية للبوطي ص ٥٣-٥٤.

(٥) هنا إشارة فقط لهذه المسألة المهمة وللاستزادة يمكن مراجعة فتح الباري ١/٣٧٧-٣٧٩ و ٩/١١٣-١١٥ وعمدة القارئ ٣/٢١٧، وعون المعبود١/٢٥٤، وكتاب غاية السول في خصائص الرسول- ابن الملقن ص ١٨٨-١٩١، وكتاب محمد رسول الله لعرجون ١/٥٨٨، والسيرة النبوية للبوطي (٥٣-٥٤). وكتاب: زوجات النبي الطاهرات، حكمة تعددهن - محمد محمود الصواف.، وكتاب شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ- محمد على الصابوني.

السبب السابع: "الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه، وتزوج صفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن"(١).

ومن هذه الأسباب مجتمعة وغيرها يتبين لنا مدى عناية الله تعالى ورعايته لنبيه ﷺ في هذا الجانب، وأن إثباته في القرآن كان رفعا لحرج النبي ﷺ.

المطلب الثاني
قَسْم النبي ﷺ بين زوجاته

قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب٥١].

"اختلف العلماء في تأويل هذه الآية، وأصح ما قيل فيها التوسعة على النبي ﷺ في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته، فخص النبي ﷺ في ذلك(٢)، لكنه كان يقسم من قبل نفسه تطييبا لنفوس زوجاته، وصوناً لهن عن أقوال الغَيْرة التي تؤدي إلى مالا ينبغي"(٣)، وعلى هذا فمعنى الآية: فإنك بالخيار أن تؤخر من تشاء فلا تبيت عندها في يومها ولا تؤويها إليك، أو تضمها وتبيت عندها، ولا جناح عليك في ذلك.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٩/ ١١٥.

(٢) انظر للاستزادة خصائص النبي في النكاح- د: عيسى الغضياني. ص١٠٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٢١٥.

ولكن لماذا لا حرج على الرسول في ذلك؟

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ "أي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذا كان من عندنا، لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرت أعينهن بذلك ورضين، لأن المرء إذا علم أنه لا حق له في شيء كان راضياً بما أوتي منه وإن قلّ، فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه، وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به لهن دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه، ومع ذلك فقد كان رسول الله يشدد على نفسه في رعاية التسوية بينهن، تطييباً لقلوبهن، فعن عائشة ﵂ قالت: ((**كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: اللهم هذه قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**))[(١)]"[(٢)].

وهذا فيه تخفيف عن رسول الله ﷺ، حتى لا يحس بالحرج فالهم الدعوي الذي يحمله كبير يحتاج إلى نفس مستقرة تتقلل من الأعباء النفسية الأخرى.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٧٦١) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرجه الترمذي كتاب النكاح باب التسوية بين الضرائر (١١٤٠)، سنن ابن ماجة كتاب النكاح باب القسمة بين النساء ح(١٩٧١) ولكن بدل من ((قسمي)) جاء برواية بلفظ ((فعلي))، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة (١٩٧١)، لكنه حسّنَ الطرف الأول منه وهو قول عائشة: ((كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل)) كما في صحيح سنن أبي داود (١٨٥٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٦/١٤.

المطلب الثالث
حادثة التخيير لزوجاته

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾[الأحزاب٢٨-٢٩].

عن جابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، والناس ببابه جلوس، والنبي ﷺ جالس، فلم يأذن له، ثم أقبل عمر فلم يأذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا، والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - زوجة عمر- سألتني النفقة آنفا، فوجأت عنقها. فضحك النبي ﷺ وقال: ((**هن حولي يسألنني النفقة**))، فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها، وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده؟ فنهاهم رسول الله ﷺ، فقلن: والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده.» قال «وأنزل الله عز وجل الخيار»، فبدأ بعائشة فقال: ((**إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك**)). قالت: «وما هو؟». قالت: «فتلا عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: «أفيك أستأمر أبواي، بل أختار الله ورسوله، وأسألك ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت». فقال: ((**إن الله تعالى لم يبعثني معنفاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها**))[(١)].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاق إلا بالنية (١٤٧٨).

أولاً: في أمر الله لرسوله ﷺ بتخيير زوجاته فوائد عديدة في جانب رعاية الله لنبيه:

١- "الاعتناء برسول الله ﷺ، والغيرة عليه أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

٢- سلامته ﷺ من تبعية حقوق الزوجات، وأن يبقى في حرية نفسه إن شاء أعطى وإن شاء منع.

٣- تنزيهه عما لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله ﷺ، والدار الآخرة.

٤- سلامة زوجاته رضي الله عنهن، عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله.

٥- إظهار رفعتهن وعلو درجتهن وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن دون حطام الدنيا.

٦- استعدادهن بهذا الاختيار للأمر المختار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكن زوجاته في الدنيا والآخرة.

٧- أن يكون اختيارهن هذا سبباً لزيادة أجرهن ومضاعفته وأن يكن بمرتبة ليس فيها أحد من النساء"[(١)].

ثانياً: جزاء زوجات النبي ﷺ في اختيارهن الصبر والدار الآخرة:

قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب ٥٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦٧٠.

هذه الآية نزلت "شكر من الله، الذي لم يزل شكورًا، لزوجات رسوله ﷺ، حيث اخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن"(١).

فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن الله قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري، فلا حرج عليه فيهن.

ثم إنه تعالى رفع الحرج عن النبي ﷺ في ذلك(٢)، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزويج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن»(٣)، فعن عائشة ﷺ قالت: "ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء"(٤).

---

(١) للمزيد انظر: مبحث حادثة التخيير في بحث موضوعات سورة الأحزاب عند الحديث عن موضوع حقوق النبي ﷺ وأهل بيته.

(٢) اختلف العلماء في هذه الآية هل وقع النسخ في هذه الآية أو هي محكمة، والذين قالوا أنها منسوخة اختلفوا هل هي منسوخة بالقرآن أو بالسنة، ومع كثرة الأقوال في هذه المسألة إلا أنها تدور حول تفسيرين لهذه الآية: المعنى الأول ما ذكرناه عن ابن كثير ٤٤٧/٦، وقد ذكره ابن جرير ولم يرجحه. أما التفسير الثاني هو على أن الآية محكمة ومعناها (لا يحل لك من النساء إلا التي أحللناها لك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ وهذا القول رجحه ابن جرير ١٥٠/١٩ وغيره. وللاستزادة في هذه المسألة انظر تفسير ابن جرير الطبري ١٤٦/١٩ وابن كثير ٤٤٧/٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٩/١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤٧/٦بتصرف.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤١/٦. والترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأحزاب (٣٢١٦) وقال الترمذي حديث حسن، وقال الألباني صحيح الإسناد في صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٨).

المطلب الرابع

حادثة التحريم لزوجاته

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ﴾[التحريم: ١ – ٥].

ورد في سبب نزول سورة التحريم عن عائشة ﵂ قالت: "**كان رسول الله ﷺ يحب الحَلوى والعَسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس**، فَغِرْتُ فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عَسَل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالَن له، فقلت لسودة بنت زَمْعَةَ: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغَافير؟ فإنه سيقول لك لا. فقولي له: ما هذه الريح التي أجد؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي: جَرَسَتْ نحلُه العُرفُطَ[1]، وسأقول ذلك،

(١) العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة وقولها (جرست نحله العرفط) أي أكلت العرفط. شرح النووي على مسلم ٧٦/١٠.

وقولي أنت له يا صفية ذلك، قالت: -تقول سودة-: والله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أباديه بما أمرتني فرقًا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: ((**لا**)). قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: ((**سقتني حفصة شَربة عسل**)). قالت: جَرَسَت نَحلُه العرفطَ. فلما دار إليَّ قلت نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: ((**لا حاجةَ لي فيه**)). قالت -تقول سودة-: والله لقد حَرَمْنَاه، قلت لها: اسكتي"[(١)].

"يتبيّن من عتاب الله -عز وجل- لنبيه في أول سورة التحريم عظيمُ مكانة الرسول عند ربه، ففي كل مقامٍ هَضم الرسول حظّ نفسه إشفاقاً على مَن حوله، أو تواضعاً أو إيثاراً لرغبات غيره، تولى الله الدفاع عنه، وعلّمهم الأدب اللائق والتصرف الذي يتناسب مع مقام النبوة، وهذا فيه بيان لعظيم مكانة النبي عند ربه"[(٢)].

فهذه الحادثة تبين ما وقع لرسول الله من قبل بعض زوجاته ويمكن أن يستفاد منها في جانب رعاية الله لنبيه الرعاية الأسرية في النقاط التالية:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب تحريم ما أحل الله (٥٢٦٨)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (١٤٧٤)، وهناك روايات أخرى تشير أن التي شرب عندها رسول الله ﷺ العسل هي زينب بنت جحش وهي كذلك عند البخاري.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن للدكتور مصطفى مسلم ٨/٢٤٦.

١- تربيته على حسن المعاملة مع زوجاته:

فقوله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[التحريم ٣] "وإنما عرّفها النبي ﷺ بذلك ليوقفها على مخالفتها واجب الأدب من حفظ سرّ زوجها"(١). فليس كل ما تفعله الزوجة تعاتب عليه.

"فإعراض الرسول ﷺ عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه ﷺ في معاتبة المفشية وتأديبها، إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعضَ ما أفشته، فتوقن أن الله يغار عليه. قال سفيان: ما زَال التغافل من فعل الكرام، وقال الحسن: ما استقصى كريمٌ قط، وما زاد على المقصود يقلب العتاب من عتاب إلى تقريع"(٢).

٢- استيعاب مشكلاته:

نبه الله نبيه ﷺ على استيعاب مشكلاته وعدم تكبير المشكلة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[التحريم: ١ – ٢].

٣ - بين الله لزوجات النبي ﷺ الصفات التي يجب أن يلتزمن بها:

وذلك عن طريق الإيحاء والتلميح بإبدال النبي ﷺ غيرهن إذا قصرن فيها، ويقع منهن مثل ذلك الأمر، ولا شك أن كل هذه الصفات موجودة في أمهات المؤمنين، وهذه الصفات هي كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[التحريم٥].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٦/١٥ باختصار.

(٢) المصدر السابق ٣٥٣/٢٨.

"وفي هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء النساء المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن"(١).

وفي هذه الحادثة تظهر رعاية من نوع آخر من الله للنبي ﷺ، من خلال أثرها وهي:

٤ - العلاقة الطيبة بين النبي ﷺ وزوجاته:

فقد ورد في الرواية ورد في سبب نزول سورة التحريم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((**وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن**)).

فقد كان النبي ﷺ يخصص وقت العصر لزوجاته، هذا وهو نبي هذه الأمة، يجد راحته وسعادته بين زوجاته.. وكذلك يدخل عليهن السرور والسعادة.

وقولها ((**يدنو من إحداهن**)) كناية عن التقبيل. وهذا فيه من الحميمية والعلاقة العاطفية ما يجعل علاقته بزوجاته وعلاقتهن به علاقة طيبة.

وفيها كذلك كرمه ﷺ مع زوجاته وإرضاؤه لهن فقد قبل أن يجلس عند حفصة رضي الله عنها وقتاً يشرب فيه العسل إرضاء لها..

حبه ﷺ أن لا تُشم منه راحة تؤذي زوجاته، حيث أنه رفض أن يشرب العسل مرة أخرى خشية أن تكون الرائحة حقيقة منه.

وكذلك خوفه على مشاعر زوجته، فعندما رجع مرة أخرى لحفصة فأرادت أن تسقيه منه، لم يبين لها سبب رفضه بل قال: ((**لا حاجةَ لي فيه**)).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٨٧٤.

المبحث الثالث

الاهتمام بأهل بيته ﷺ

ويبرز هذا الاهتمام في عدد من المواقف نبرزها من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

تربية زوجات النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزاب ٣٠- ٣٤].

ينبه الله سبحانه وتعالى نساء رسول الله ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ينبههن الله سبحانه وتعالى خاصة، وسائر المؤمنات عامة على عدة وصايا مهمة، للاستمرار الكامل على منهج الله ومنهج رسول الله.

وخصهن بالخطاب بأوامر يتجلى فيها إيمان المؤمنات وتقواهن،

وأفعال تربيهن على خصال الإيمان ومعالي القربات وعزائم الأمور التي بها يتربى البيت المسلم على التقوى والإيمان بالله تعالى وحسن طاعة الله ورسوله ﷺ، ومن هذه الأوامر:

١- التحذير من ارتكاب الفواحش والتشديد في ذلك:

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾[الأحزاب٣٠].

"ولما كانت مكانتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظاً، صيانة لجانبهن وحجابهن الرفيع"(١)، "وأيضاً لشرف منزلتهن وفضل درجتهن، وتقدمهن على سائر النساء أجمع، وقيل: لما كان أزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيه، قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأجر والعذاب، وقيل: إنما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن بإيذاء رسول الله ﷺ، فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة في إيذاء رسول الله ﷺ"(٢).

قال تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ "في الدنيا والآخرة. أي أن يجعل عذاب من يأتي من نساء النبيّ ﷺ بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة، مثلي عذاب سائر النساء غيرهنّ"(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٠٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٧٤.

(٣) جامع البيان للطبري ١٩/ ٩١.

وقوله تعالى:﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: "سهلا، لا يمنعه -جل شأنه- عنه كونهن نساء النبي ﷺ، بل هو سبب له"(١).

"واختار الله سبحانه وتعالى نساء رسول الله صلى الله عليه في الخطاب تكرمةً لهنّ وتعظيماً لحقهنّ، وقد عصمهنّ الله عن ذلك وبرأهنّ وطهرهنّ"(٢).

ومن هذه الآية نعلم أن "العقوبة تجب على قدر النعمة، ألا ترى أن الله تعالى قال لأزواج النبي ﷺ:﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ فلما كانت نعمتهن أكثر جعل عقوبتهن أشد"(٣).

وأيضاً تعظيم الذنب على من يقتدي بهم الناس فنساء النبي هن قدوة لنساء العالمين فيجب أن يتصفن بأحسن الصفات ويبتعدن عن كل الصفات والأعمال غير اللائقة بهن لأن النساء لهن تبع.

٢- الوصية بالخشوع والعمل الصالح وزيادة الأجر لهن في ذلك:

قال تعالى:﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾[الاحزاب٣١].

أي: "ومن تخشع وتخضع لله ورسوله، ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ كالصلاة والصوم والحج وإيتاء زكاة، وقيل: المراد بالعمل الصالح الخدمة الحسنة والقيام بمصالح البيت والصلاة والصيام"(٤).

---

(١) روح المعاني للألوسي ٢١/ ١٨٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤/٢٦٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٤٦.

(٤) روح المعاني للألوسي ١٤/١.

وقوله تعالى: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: "يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ وأعتدنا لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنة"(١).

وقيل ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: "مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي عليه الصلاة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة"(٢).

٣- النهي عن الخضوع بالقول:

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾[الأحزاب٣٢].

"الخضوع بالقول هو: ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال"(٣).

وقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: "قولا حسناً جميلاً معروفا في الخير"(٤)، "فلا تقلن قولًا غليظاً ولا جافٍ كما أنه ليس بلينٍ خاضعٍ"(٥).

٤- الأمر بالقرار في البيت:

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾[الأحزاب٣٣].

وعلى هذا فالآية دليل على أن الأصل هو القرار في البيت، لأنه المحضن الذي ينتج الرجال والنساء الصالحين، الذين يتقون الله

---

(١) جامع البيان للطبري ١٩/٩٢.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٤٠٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٠٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦١١.

وعليه يتوكلون ولأمره يطيعون ولنهيه يجتنبون، فهو خير وأتقى لها ولمجتمعها وللأجيال القادمة بإذن الله تعالى.

وقرارها في بيتها ليس تعطيلاً لها، بل إشغالاً لها بما يخصها، ويمكنها خدمة أمتها من خلاله، بل تخصص محمود، كما نادى بذلك عقلاء من جربوا خروج المرأة من بيتها.

٥- النهي عن التبرج:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب٣٣].

ما هو تبرج الجاهلية الأولى؟

"كانت لهن مشية تكسر وتغنج[١]، أو أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها، وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، تخرج تمشي بين يدي الرجال، ذلك تبرج الجاهلية"[٢].

٦- الوصية بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[الأحزاب٣٣]

أي: "وأقمن الصلاة المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ فيما أمركن ونهاكن"[٣].

وقيل: "أقمن الصلاة فرضاً ونفلاً، لأنها صلة لما بينكن وبين الخالق لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وآتين الزكاة إحساناً إلى الخلائق"[٤].

---

(١) جامع البيان للطبري ١٩/٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٤١٠.

(٣) جامع البيان للطبري ١٩/١٠٠-١٠١.

(٤) نظم الدرر للبقاعي ١٥/٣٤٥.

٧- الوصية بطاعة الله ورسوله ﷺ:

﴿ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[الأحزاب٣٣] "أمر بالطاعة لله ورسوله فليس التكليف منحصراً في المذكور بل كل ما أمر الله به فأتين به وكل ما نهى الله عنه فانتهين عنه"(١).

قال ابن عاشور: "أريد بهذه الأوامر الدوام علي الطاعة لأنهن متلبسات بمضمونها من قبل، وليعلم الناس أن المقربين والصالحين لا ترتفع درجاتهم عند الله تعالى عن حق توجه التكليف عليهم، وفي هذا مقمع للزاعمين أن الأولياء إذا بلغوا المراتب العليا من الولاية سقطت عنهم التكاليف الشرعية"(٢).

٨- الله تعالى يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيت النبي ﷺ(٣)

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب٣٣].

إن وسائل التطهير التي أمر الله بها أهل بيت رسول الله ﷺ، وزوجاته وهن أطهر من عرفت البشرية من النساء، دليل على أن الأمر لغيرهن من النساء أوجب، وغيرهن أحوج إلى الالتزام بهذه التوجيهات لكي تتطهر نفوسهن من الرجس والمنكر.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٢١٠.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢/ ١٣.

(٣) يقول الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: المراد بآل بيت النبي: صلى الله عليه وآله وسلم :هم من تحرم عليهم الصدقة، وهم أزواجه وذريته، وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف. واستدل الشيخ لذلك بأدلة كثيرة. ينظر: فضلُ أهل البيت وعلوُّ مكانتِهم عند أهل السُّنَّة والجماعة للشيخ عبدالمحسن العباد ص٥ وما بعدها.

٩- الأمر بالدعوة إلى الله والتعليم:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾[الأحزاب٣٤].

"اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، وهي أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة ﵂ أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة. فإنه لم ينزل الوحي في فراش امرأة سواها"(١).

وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى ولطفه ورحمته بهذه الأمة، أن جعل بيوت أمهات المؤمنين ﵃ مدارس لنشر العلم والسنة، بقي فيها من أزواج النبي ﷺ من يُعيد سيرته وتذكر الناس بسنته، على مدى خمسين عاما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، كأن الوحي لم ينقطع، وكأن الناس من أنواره في شمس لا يلم بها أفول.

١٠- أمر زوجات النبي بالحجاب:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾[الأحزاب٥٩].

"يقول الله تعالى آمراً رسوله ﷺ، أن يأمر النساء المؤمنات عامة وخاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء"(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤١٦.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٤٨٢.

فهذه هي أخلاق زوجات النبي ﷺ التي يجب على كل زوجة داعية أن تلتزم بها، وتعمل على تكميلها في نفسها وفي بيتها ومع أبنائها، وأيضا يجب على كل مسلمة المحافظة على تلك الصفات، لتفوز بالأجرين في الدنيا والآخرة.

وعلى هذا فإنه يجب على زوجات الدعاة، والداعيات أن يتصفن بصفات أمهات المؤمنين، فهي الصفات العليا. وأن يترفعن عن أي فاحشة ومنكر لأن التي تؤذي نفسها من الداعيات أو زوجات الدعاة بارتكاب أي منكر، فإنها تؤذي الدعوة كلها، وتؤذي جميع أخواتها من زوجات الدعاة.

وأيضا عليهن الالتزام بالأخلاق الفاضلة، لأن ذلك فيه رفعة لهن أولاً عند الله، ورفعة لأزواجهن أمام المدعوين، وقدوة لكل النساء، فإن الداعية إلى الله في كل شؤون حياته كتاب مفتوح أمام الناس، وأي غلط في هذا الكتاب فإن الأضواء تسلط عليه أكثر من غيره.

١١- برأ الله تعالى زوجته من فوق سبع سماوات:

وذلك حفاظًا على الأسرة، ولكي يتفرغ النبي ﷺ للوحي ولتبليغه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[النور: ١١]

"يريد أنه تبرئة في الدنيا وترفيع من الله تعالى في أن نزل وحيه بالبراءة من ذلك وأجر جزيل في الآخرة وموعظة للمؤمنين في غابر الزمن، ونقمة من المفترين في الدنيا والآخرة، ففي ذلك شفاء وخير وهذه خمسة أوجه"(١).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١٦٩/٤.

"هذا الحادث. حادث الإفك. قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تطاق وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل وعلق قلب رسول الله- ﷺ- وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل.. شهرا كاملا. علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

وما كان حديث الإفك رمية لعائشة وحدها، إنما كان رمية للعقيدة في شخص نبيها وبانيها.. من أجل ذلك أنزل الله القرآن ليفصل في القضية المبتدعة، ويرد المكيدة المدبرة، ويتولى المعركة الدائرة ضد الإسلام ورسول الإسلام ويكشف عن الحكمة العليا وراء ذلك كله وما يعلمها إلا الله".

المطلب الثاني
الأدب مع زوجات النبي ﷺ

يمكن بيان رعاية الله للنبي ﷺ من خلال الأدب مع زوجاته في نقطتين:

أولًا: أدب سؤال زوجات النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب٥٣]. أي: "لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن، فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن إلا من وراء حجاب»[(١)]. «أي من وراء ستر بينكم وبينهنّ""[(٢)].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٥٥.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٨٩.

هذه هي آية الحجاب: قال عمر بن الخطاب ﷺ "وافقت ربي في ثلاث، فقلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله آيات الحجاب، وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه من الغيرة: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم ٥]،فنزلت كذلك"(١).

ثانيا: النهي عن أذية النبي ﷺ في زوجاته:

ومن صور النهي في أذيته في زوجاته:

- النهي عن نكاح أزواجه من بعده خصوصاً وأن هذا من أذيته:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب٥٣]أي: "ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء"(٢)

فقوله:﴿وَمَا كَانَ﴾ أي: "ليس على النفي وإنما هو على **التحريم والنهي**»(٣)، وهذا النهي «عام في كل ما يتأذى به"(٤).

"وزواج أزواجه من بعده من جملة ما يؤذيه، فإنه ﷺ له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته من بعده مخل بهذا المقام"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة(٤٠٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر (٢٣٩٩) مختصراً.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٦/٦٧١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٣١١.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٩/١٧١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٧٠.

- الوعيد لمن تعرض لرسول الله ﷺ أو أزواجه بأذى أو همّ به:

قال تعالى:﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ۝٥٤﴾[الأحزاب٥٣-٥٤].

ينبه الله على خطورة هذا الأمر جدا فيشدد فيه ويتوعد عليه ففي هذه الآية "إشارة إلى ما ذكر من إيذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح أزواجه من بعده، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الشر والفساد ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حكمه عز وجل ﴿عَظِيمًا﴾ أي أمراً عظيماً وخطباً هائلاً لا يقادر قدره، وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله ﷺ وإيجاب حرمته حياً وميتاً ما لا يخفى"[1].

(١) روح المعاني للألوسي ١٦/٢٠٠.

المبحث الرابع

الرعاية المادية

امتن الله سبحانه وتعالى على نبيه أن أغناه، فقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى ٨]. أي:" أغناك بالقناعة فصرت بحال يستوي عندك الحجر والذهب، لا تجد في قلبك سوى ربك، فربك غني عن الأشياء لا بها، وأنت بقناعتك استغنيت عن الأشياء، وإن الغنى الأعلى الغنى عن الشيء لا به، ومن ذلك أنه عليه السلام خير بين الغنى والفقر، فاختار الفقر"[١].

"لقد كنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة، كما أغناك بكسبك عن أن تحس الفقر، أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء"، فالعائل: "الذي لا مال له"[٢] ﴿فَأَغۡنَىٰ﴾ أي: "بما فتح الله عليك من البلدان، التي جبيت لك أموالها وخراجها"[٣].

وتبرز رعاية الله تعالى لنبيه من الناحية المادية في المطالب التالية:

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٣١/٩٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٣) المصدر السابق ص ٩٢٨.

المطلب الأول
التربية الربانية للنبي ﷺ في الجانب المالي

ربى الله نبيه ﷺ على أمور تعينه في حياته المعيشية والدعوية، ومن ذلك:

أولًا: تربيته على الاستعانة بالله في طلب المعاش:

وظهر أثر هذه التربية في أدعية النبي ﷺ:

فقد كان رسول الله ﷺ كثير الدعاء لله تعالى؛ أن يرزقه الرزق الحلال الطيب الذي يعينه على أموره الخاصة وأمور دعوته، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول: ((**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**))[١].

وتعوذ ﷺ بالله من شدة الحاجة والفقر، وقرنها في دعائه مع الكفر – أعاذنا الله منهما– وذلك كل يوم في أذكار الصباح والمساء، وفي دبر كل صلاة فكان ﷺ يقول: ((**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**)) يعيدها ثلاثاً[٢].

وسأل ربه أن يقيه شر المصائب ومنها ما يكون في المال، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: ((**اللهم إني أسألك العفو**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب باب التعوذ من شر ما عمل ..(٢٧٢١).

(٢) رواه أبو داوود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح(٥٠٩٢) وحسنه الألباني في صحيح وضعيف أبو داود (٥٠٩٢)، وأخرجه أحمد من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، ٣٦/٥ (٢٠٣٩٧) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ..))[١].

وكان ﷺ يدعو الله تعالى أن يقيه الفقر، وما ينتج عنها من صفات ذميمة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل..))**[٢]، وكتب السنة مليئة بمثل هذه الدعوات وصيغها المتعددة.

ثانياً: تربية النبي ﷺ على الزهد في الدنيا:

وكان أثر هذه التربية ظاهرا في حياة النبي ﷺ، فلم ينكب رسول الله ﷺ على الدنيا ويجعلها همة، بل كان همه كله منصباً على دعوته ورسالته وتبليغها للناس وإن استعان ببعض ما يقيم حياته وصلبه؛ من مسكن وملبس ومأوى. فقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾[الضحى: ٨]، أي: "فرضاك بما أعطاك من الرزق، وقيل: قنعك بالرزق"[٣].

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها قالت: **((ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً، ولا عبداً ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة))**[٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **((اللهم ارزق آل محمد قوتاً))**[٥].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، في باب ما يقول إذا أصبح برقم (٥٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود(٥٠٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات (٦٣٦٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ١٠٠، ٩٩ مختصراً.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا (٢٧٣٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، في باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا(٦٤٦٠). ومسلم في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، وفي أوائل الزهد والرقائق (١٠٥٥).

وثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم[١]، حشوها ليف[٢].. فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: ((**ما يبكيك؟**)) فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله، فقام رسول الله ﷺ مبينا لهذا القول فقال: ((**أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**))[٣].

المطلب الثاني
نشأته في قبيلة ومنطقة مشهورة بالتجارة

ويدخل في ذلك نشأته ﷺ في مكة في قبيلة قريش التي كانت تتاجر في الشتاء والصيف وكانت مشهورة بذلك، وكانت قائمة على أمور الحج، وهذا يعطيها مركزاً تجارياً عظيماً في المنطقة في مكان يصعب العيش فيه.

فقال تعالى ممتناً: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾[القصص: ٥٧].

---

(١) الأدم: الجلد. انظر: لسان العرب لابن منظور ٨/١٢.

(٢) الليف: لِيف النخل معروف القطعة منه ليفة ولَيَّفَت الفَسِيلة غَلُظت وكثر لِيفها. انظر: لسان العرب لابن منظور ٣٢٢/٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب {تبتغي مرضاة أزواجك}رقم (٤٩١٣)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم (١٤٧٩).

أي: "فَلْيَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. ولْيَتَّبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد"(١).

وقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾[قريش١-٤]، "في الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف ، نعمة عظمى لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين هاتين معا، إذ لا عيش مع الجوع ، ولا أمن مع الخوف ، وتكمل النعمة باجتماعهما"(٢).

وهذا استجابة الله لدعاء إبراهيم، عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾[إبراهيم: ٣٧].

فإبراهيم عليه السلام دعا لهذه المنطقة أن تكون منطقة مليئة بالثمرات، فاستجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام، فنشأة النبي ﷺ في هذه المنطقة الفقيرة الخالية من الثمرات ثم بتيسير الله وفضل من الله أصبحت هذه المنطقة من أغنى المناطق وأوفرها رزقاً، كل ذلك فضل من الله على نبيه محمد ﷺ، ثم لما هاجر إلى المدينة المنورة لم تكن أقل من مكة في التجارة والخير، بل كانت مركزاً تجارياً كذلك وبه مجموعة كبيرة من التجارات كما في مكة إضافة إلى الزراعة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٢٠.

(٢) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٩/ ١١٢.

المطلب الثالث

تربيته الله نبيه ﷺ على الكسب من عمل يده

فإنه ولد يتيما وماتت أمه ثم جده وكان في هذه الفترة يعتمد على نفسه في العمل.

فالله قادر على أن يغني محمدا ﷺ عن رعي الغنم، ولكن هذه تربية للأكل من كسب اليد وعرق الجبين، ورعي الغنم نوع من أنواع الكسب باليد.

ولا شك أن الاعتماد على الكسب الحلال يكسب الإنسان الحرية التامة والقدرة على قول كلمة الحق والصدع بها[١]، فكم من الناس يطأطئون رؤوسهم للطغاة، ويسكتون على باطلهم، ويجارونهم في أهوائهم خوفًا على وظائفهم عندهم[٢].

"وهذا المعنى لم يكن قد خطر في بال الرسول ﷺ في هذه الفترة إذ أنه لم يكن يعلم ما سيوكل إليه من شأن الدعوة غير أن هذا المنهج الذي هيأه الله له ينطوي على هذه الحكمة، ويوضح أن الله تعالى قد أراد أن لا يكون في شيء من حياة النبي قبل البعثة ما يعرقل سبيل دعوته، أو يؤثر عليها تأثيرا سلبياً.

إن إقبال النبي ﷺ على رعي الأغنام لقصد كسب القوت والرزق يشير إلى دلائل هامة في شخصيته المباركة منها:

---

(١) مدخل لفهم السيرة للشيخ يحيى اليحيى ص١٢٨.

(٢) فقه السيرة للغضبان ص٩٣.

أولا: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمّل الله تعالى بهما نبيه ﷺ، لقد كان عمه يحوطه بالعناية التامة، وكان له في الحنو والشفقة كالأب الشفوق، ولكنه ﷺ ما إن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب ويتعب نفسه لمساعدة عمه في مؤونة الإنفاق، وهذا يدل على شهامة في الطبع وبر في المعاملة، وبذل للوسع.

ثانياً: تتعلق ببيان نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا، لقد كان سهلاً على الله أن يهيئ للنبي ﷺ، وهو في صدر حياته من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعيًا وراء الرزق.

ولكن الحكمة الربانية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكد يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه"[(١)].

وقد ثبت أن النبي ﷺ عمل في رعي الغنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم**)) فقال: أصحابه: وأنت؟ قال: ((**نعم. كنت أرعاها على قراريط**[(٢)] **لأهل مكة**))[(٣)].

وثبت كذلك عمله ﷺ في التجارة كما في تجارته لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حيث سافر بتجارة لها إلى الشام[(٤)].

فالتجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله لرسوله ﷺ

(١) فقه السيرة للبوطي ص٥٠ مختصرا وبتصرف.

(٢) قراريط: جمع قيراط، والمراد به هنا جزء من الدينار والدرهم. انظر: دليل الفالحين لابن علان٢/٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٢٢٦٢).

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٨٧، ١٨٨ باختصار.

قبل البعثة، وقد تدرب النبي ﷺ على فنونها، وهذه المهنة مهمة للداعية حتى لا يقع تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم وإذلالهم، فهو ليس في حاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه وبحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته[١].

المطلب الرابع
تيسير الله لنبيه ﷺ من يعينه

فقد يسر الله سبحانه وتعالى لنبيه من يعينه على حياته ودعوته، ومن ذلك:

أولا: تيسير الله له خديجة ﵂ زوجة له فساعدته بمالها:

قيل في معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى٨] "أغناك بكسبك ومال أهل بيتك خديجة ﵂ عن أن تحس الفقر، أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء!".

وذلك من جانبين:

الأول: توفير فرصة العمل للنبي ﷺ، فقد كانت خديجة بنت خويلد ﵂ ذات شرف ومال، تستأجر الرجال ليتجروا بمالها، فلما بلغها عن محمد صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدما الشام، وباع محمد ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد من السلع، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها[٢].

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١/ ٨٤ بتصرف يسير.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١/ ٦١. وقصة تجارته بمال خديجة ينظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧ – ١٨٨.

والثاني: الدعم المباشر للنبي ﷺ، فقد كانت خديجة رضي الله عنها خير معين له على ذلك كله، بكل ما تملك؛ حتى قال ﷺ عنها: ((**واستني بمالها إذ حرمني الناس**))[(١)].

ثانيا: تيسير الله له أبا بكر الصديق رضي الله عنه داعماً:

لقد أكرم الله تعالى نبيه محمد ﷺ حين يسر له أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه فكان نعم المعين للنبي ﷺ على احتياجاته واحتياجات الدعوة إلى الله في جوانب كثيرة ومنها المال.

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر : صدق. وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لي صاحبي**))[(٢)].

وقال: ((**ليس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة**))[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: ((**ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر**)) فبكى أبو بكر، وقال: "وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله"[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١١٧/٦ برقم: (٢٤٩٠٨) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً..)) (٣٦٦١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أبوب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، (٤٦٧).

(٤) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب ١٥ برقم (٣٦٦١) وصححه الألباني صحيح وضعيف جامع الترمذي.

وكان ﷺ بطلاً لكثير من المواقف التي فيها إعانة للنبي ﷺ في دعوته، ومن ذلك حادثة الهجرة فقد كان الداعم المالي الوحيد لهذه الهجرة حيث قام ﷺ بكثير من الاستعدادات المالية التي تكفل هجرة النبي ﷺ بأمان فمما قام به: جهز راحلتين للنقل، واستأجر دليلاً للطريق، وكان لبناته ﷺ الدور في إيصال التموين الغذائي لهما في الغار، وجعل مولاه يعمل على تغطية آثار أقدامهما[١]

ثالثا: تيسير الله له عثمان ﷺ داعماً:

فقد كان عثمان بن عفان رضي الله من كبار أغنياء الصحابة وكان له دور عظيم في الدعم المالي لدعوة النبي ﷺ، وله في ذلك مواقف كثيره منها:

أنه عندما قدم النبي ﷺ المدينة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يُستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: **((من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة))**[٢]، فاشتراها عثمان بن عفان ﷺ من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل[٣].

وكان ﷺ أول من وسَّع المسجد النبوي للمصلين ولطلاب

(١) انظر حادثة الهجرة في: السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٨٥، ٤٧٧.

(٢) رواه النسائي في كتاب الأحباس، باب وقف المساجد (٣٦٠٨) والترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان (٣٧٠٣)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل برقم: (١٥٩٤).

(٣) فتح الباري ٥/٤٠٨.

العلم، فقد ثبت عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: "هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: ((**من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة؟**)) فاشتريتها من صلب مالي"[(١)].

وبرز فارس الميدان رضي الله عنه في دعم النبي ﷺ للجهاد فقدم للنبي ﷺ في تجهيز جيش العسرة تسعمائة وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتم بها الألف، وعشرة آلاف ديناراً فجعل الرسول ﷺ يقلبها بيده ويقول: ((**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**)) مرتين[(٢)].

رابعا: تيسير الله لنبيه الصحابة وإهدائهم له الهدايا:

فعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: "والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟!! قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح[(٣)] فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه"[(٤)].

ومن سنن النبي ﷺ قبول الهدية فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((**كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها**))[(٥)].

---

(١) رواه النسائي في كتاب الأحباس، باب وقف المساجد (٣٦٠٨)، والترمذي في كتاب المناقب باب في مناقب عثمان (٣٧٠٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي(٣٦٠٨).

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان(٣٧٠١) وقال حديث حسن، وصححه الألباني في المشكاة (٦٠٦٤).

(٣) المنائح: جمع منيحة وهي العطية، وقيل: لا يقال منيحة إلا للناقة وتستعار للشاة. فتح الباري لابن حجر ١٩٩/٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب فضل الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق باب (٢٨)، (٢٩٧٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب المكافأة في الهبة (٢٥٨٥).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لو دعيت إلى ذراع أو كراع**[١] **لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت**))[٢].

وهذا رسول الله ﷺ يقبل الضيافة من أبي أيوب الأنصاري ﷺ حتى يتم بناء المسجد وبناء مسكنه عند هجرته ففي حديث الهجرة الطويل: «فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فقال نبي الله ﷺ: ((**أي بيوت أهلنا أقرب**)) فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي، قال: ((**فانطلق فهيئ لنا مقيلا**[٣]...))[٤].

المطلب الخامس
ما أعطاه الله تعالى من الغنائم[٥] والفيء[٦]

فقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾[الضحى ٨]. العائل: "الذي لا مال له ﴿ فَأَغۡنَىٰ ﴾ أي: «بما فتح الله عليك من البلدان، التي جبيت لك أموالها وخراجها"[٧].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[الأنفال: ٤١].

---

(١) كراع: من الإنسان ما دون الركبة إلى الكعب ومن الدوابِّ ما دون الكَعْبِ. لسان العرب ٨/ ٣٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب القليل من الهبة (٢٥٦٨).

(٣) مقيلاً: أي مكانا تقع فيه القيلولة. فتح الباري لابن حجر ٧/ ٢٥٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي إلى المدينة(٣٩١١).

(٥) الغنيمة: اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة بقوة الغزاة وقهر الكفر على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى. التعريفات ص٢٠٩.

(٦) الفيء: ما رده الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال إما بجلاء أو المصالحة. التعريفات ص٢١٨.

(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[الحشر:٦- ٧].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كانت أموال بني النضير[١] مما أفاء الله على رسوله ﷺ، مما لم يوجف[٢] المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع[٣]، عدة في سبيل الله"[٤]، وفي رواية: "أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم"[٥].

وعن عطاء بن أبي رباح قال: "خمس الله والرسول واحد، يحمل منه ويصنع فيه ما شاء"[٦].

---

(١) بنو النضير: اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة وكانوا هم وقريظة نزولا بظاهر المدينة في حدائق وآطام لهم، وكانت غزاة النبي ﷺ لبني النضير بسبب محاولة لقتله وخيانتهم المعاهدة، وذلك سنة ٤هـ، ففتح حصونهم وأخذ أموالهم وجعلها خالصة له، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٢٩٠.

(٢) يوجف: أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/٦٥.

(٣) الكراع: الخيل. انظر: عون المعبود للعظيم ابادي ٨/١٨٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يتترس بترس صاحبه (٢٩٠٤)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء (١٧٥٧).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال(٥٣٥٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٦١.

وفي الصحيح عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((**جعل رزقي تحت ظل رمحي**))[١].

قال ابن حجر: "وفي الحديث إشارة إلى حل الغنائم لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في غيرها من المكاسب ولهذا قال بعض العلماء إنها أفضل المكاسب"[٢].

مع التنبيه إلى أن الاكتساب من الغنيمة والفيء ليس هدفاً للجهاد، بل كان فائدة من الفوائد التي منحها الله للمجاهدين في سبيله، كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة**))[٣].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الجهاد والسير، عند باب ما قيل في الرماح قبل حديث رقم (٢٩١٤)، وأحمد في المسند ٢/ ٥٠ (٥١١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٢) فتح الباري لابن حجر ٩/ ٧٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الخمس، باب قول النبي ﷺ: ((أحلت لكم الغنائم)) (٣١٢٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (١٨٧٦).

المبحث الخامس
الرعاية الأمنية

ونريد بالأمن هنا: الأمن الذي حفظ الله به على الرسول ﷺ نفسه، والذي هو من الضروريات التي حفظها الإسلام للإنسان.

ويمكن إبراز هذا الجانب في المطالب التالية:

المطلب الأول
طمأنة الله لنبيه بأنه حافظ له

فقد أخبر الله نبيه ﷺ بأنه حافظه من كيد أعدائه وعدوانهم، فقال له: قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

قال ابن جرير: "وإن يرد، يا محمد، هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة، وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم، خداعَك والمكرَ بك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾، يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعَهم إياك"(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥ – ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[النحل: ١٢٧ – ١٢٨](٢).

---

(١) جامع البيان للطبري ١٤/ ٤٤.

(٢) تم الحديث عن هذه النقطة بتوسع في مبحث الرعاية الأمنية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة٦٧].

عن عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: ((**يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله**))[(١)].

قال أبو جعفر: "هذا أمر من الله تعالى ذكره نبيَّه محمدًا ﷺ، بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قصَّ تعالى ذكره قَصَصهم في هذه السورة، وأن لا يُشْعر نفسَه حذرًا منهم أن يُصيبوه في نفسه بمكروهٍ ما قام فيهم بأمر الله، ولا جَزعًا من كثرة عددهم وقلّة عدد من معه، وأن لا يتّقي أحدًا في ذات الله، فإن الله تعالى ذكره كافيه كلَّ أحد من خلقه، ودافعٌ عنه مكروهَ كل من يبغي مكروهه"[(٢)].

"أي بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظُك وناصرُك ومؤيدُك على أعدائك ومُظفِرُك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل إليك أحدٌ منهم بسوء يؤذيك"[(٣)]، "فالله يتولى حمايته وعصمته من الناس، ومن كان الله له عاصماً فماذا يملك له العباد المهازيل!".

و"قيل العصمة الموعود بها عصمة النفس من القتل لا عصمته من إذاهم بالكلية بل أبقى الله تعالى لرسوله ثواب ذلك الأذى ولأمته حسن التأسي به إذا أوذي أحدهم نظر إلى ما جرى عليه وصبر، وللمؤذين الأشقياء الأخذة الرابية"[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة برقم (٣٠٤٦) وقال هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/٦٤٤).

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/ ٤٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٥١.

(٤) بدائع التفسير لابن القيم ٢/ ١١٧.

المطلب الثاني

نماذج من حفظ الله لنبيه من أعدائه

ومن عصمة الله لنبيه ﷺ حفظه له من أعدائه عامة، ومن أهل مكة وصناديدها خاصة، فقد أنجاه الله من المؤامرات التي واجهته منذ بعثته ﷺ. ومن ذلك:

وهذا يبرز في مواقف كثيرة ومنها:

أولا: تسخير الله له عمه ليحميه من قريش:

عندما بدأ النبي ﷺ دعوته، بدأت قريش تحاربه، ولكن كانوا يعطون اعتبارا لعمه أبو طالب فقد كان له شأن في قومه، ولم يجدوا طريقا غير أن يجعلوا عمه لا يقف معه، ومن ذلك:

جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: ((**ترون هذه الشمس؟**)) قالوا: نعم، قال: ((**فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها بشعلة**)) فقال أبو طالب: **والله ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا**[١].

وفي رواية فقال أبو طالب: **اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا**[٢].

---

(١) ذكره الطبري في ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى ص ٢٢٣، وابن كثير في السيرة ١/٤٣٦، وانظر: صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ص٧٨.

(٢) سيرة ابن هشام١/ ٢٤٠.

وعندما ذهب كفار قريش إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش، وأجملهم، فلك عقله[١] ونصره، واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامنا، فنقتله فإنما هو رجل برجل. فقال أبو طالب: **والله لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني فتقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدا**[٢].

ثانيا: حفظ الله تعالى له من أذى قريش:

عن أبي هُرَيرة ﷺ قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفِّرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يُصَلي ليطأ على رقبته، قال: فما فَجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خَنْدقا من نار وهَولاً وأجنحة. قال: فقال رسول الله: ((**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**)). قال: وأنزل الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾[العلق٦]، إلى آخر السورة[٣].

وعن ابن عباس ﷺ: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن على عُنُقه. فبَلغَ النبي ﷺ، فقال: ((**لئن فعله لأخذته الملائكة**))[٤].

---

(١) فلك عقله: أي ديته إذا قتل.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إن الإنسان ليطغى (٢٧٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سوره اقرأ باسم ربك (٤٩٥٨).

وورد أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمدا لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك، لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك. فقال: **((يا بنية: أريني وضوءا، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد))**، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصرا، ولم يقم إليه منهم رجل، **((فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب فقال: شاهت الوجوه، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى حصاة، إلا قتل يوم بدر كافرا))**[1].

ثالثاً: حفظ الله له من القتل في حادثة الهجرة:

ولما اجتمع زعماء قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكانت الاقتراحات إما إخراجه أو حبسه أو قتله، وتم الاتفاق على قتله، حيث إن أبا جهل قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٨٧ (٢٧٦٣)، وقال الأرناؤوط إسناده حسن.

دمه في القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم. فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه، فأنجاه الله تعالى فخرج عليهم رسول الله ﷺ، وأخذ حفنة من تراب في يده، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس١-٩][(١)].

قال الماوردي: "فمن معجزاته ﷺ: عصمتُه من أعدائه، وهم الجمُّ الغفير، والعددُ الكثير، وهم على أتم حَنَقٍ عليه، وأشدُّ طلبٍ لنفيه، وهو بينهم مسترسلٌ قاهر، ولهم مخالطٌ ومكاثر، ترمُقُه أبصارُهم شزراً، وترتد عنه أيديهم ذعراً، وقد هاجر عنه أصحابه حذراً حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليماً، لم يكْلَم في نفسٍ ولا جسد، وما كان ذاك إلا بعصمةٍ إلهيةٍ وعدَه الله تعالى بها فحققها، حيث يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة٦٧] فعَصَمَه الله منهم"[(٢)].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢.

(٢) أعلام النبوة للماوردي ص ٩٥.

وفي طريق هجرته كذلك حفظه الله تعالى، وذلك فيما ذكره أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حيث قال: "فارتحلنا بعد ما مالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك. فقلت: أُتينا يا رسول الله، فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة٣٠]، فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها، فقال: إني أراكما قد دعوتما عليَّ، فادعوَا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ، فنجا فجعل لا يلقى أحدا إلا قال كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحدا إلا رده، قال: ووفَّى لنا"[(١)].

رابعاً: حفظ الله لنبيه من محاولة يهود قتله:

حاول يهود قتل رسول الله ﷺ في عدد من المواقف ومنها:

محاولة قتله ﷺ بعد بدر، فقد أرسل بنو النضير إليه أن اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرا حتى نلتقي في مكان كذا وكذا، نِصْف بيننا وبينك، فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا. ثم قالوا: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلا؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك، فاشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى ابن أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته، فأخبر النبي ﷺ، فرجع، فلما كان الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم. وتم إجلاء يهود بني النضير[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٤).

(٢) هذه القصة رواها عبد الرزاق في مصنفه ٣٥٨/٥(٩٧٣٣)، ورواها أبو داود كتاب الخراج باب فى خبر النضير (٣٠٠٤) من طريق عبد الرزاق، غير أنه لم يذكر تفاصيل القصة، بل جاء فيه (يسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فقص خبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم). والحديث صحح إسناده الألباني في صحيح أبي داود .

وذكر سببٌ آخر لإجلاء بني النضير، وهو أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير ليستعين بهم على دفع دية رجلين معاهدين قتلهما خطأ عمرو بن أمية الضمري، فجلس النبي ﷺ إلى جدار لبني النضير فهموا بإلقاء حجر عليه وقتله، فأخبره الوحي بذلك فانصرف عنهم مسرعا إلى المدينة ثم أمر بحصارهم[١].

ثم كانت حادثة السم، بعد فتح خيبر، فعن أنس رضي الله عنه: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك قال: ((**ما كان الله ليسلطك علي**))[٢].

وعن أبي هريرة أنه قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم فقال رسول الله ﷺ: ((**اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود**)) فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ: ((**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**)) قالوا: نعم. فقال: ((**هل جعلتم في هذه الشاة سما؟**)) فقالوا: نعم. فقال: ((**ما حملكم على ذلك ؟**)) فقالوا: أردنا إن كنت كذابا نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك[٣].

خامسا: حماية النبي من الرجل الذي أراد قتله:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قِبَل ناحية نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاة -شجر به

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب السم (٢١٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ (٥٧٧٧).

شوك-، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: **((إن رجلا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا-مسلولا- في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟، قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟، قلت: الله، فشام السيف -فرده في غمده-، فها هو ذا جالس.. ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ))**[1].

المطلب الثالث

تعليم النبي ﷺ أخذ الحيطة والحذر

وظهر أثر هذه التربية من الله لنبيه ﷺ في مواقف كثيرة، ومنها:

أولا: اختياره دار الأرقم لتعليم أصحابه خلال ثلاث سنوات من البعثة في مكة:

عندما أراد النبي ﷺ أن يختار مكانا آمنا للدعوة يجتمع فيه مع أصحابه يعلمهم ويزكيهم، وقع الاختيار على دار الأرقم بن أبي الأرقم، وتم اختيار هذا المكان بعناية شديدة وبإلهام رباني تجلت فيه التربية الربانية من الله تعالى لنبيه في جانب أخذ الحيطة والحذر:

ولذا كان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها:

١- أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد ﷺ وأصحابه بداره.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس (٨٤٣).

٢- أن الأرقم بن الأرقم ﷺ من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم. فلو كان الأرقم معروفا بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره؛ لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

٣- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام.

فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب في دور بني هاشم، أو في بيت أبي بكر ﷺ أو غيره، ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم نسمع أبدا أن قريشًا داهمت ذات يوم هذا المركز وكشفت مكان اللقاء[١].

ثانيا: أخذ الحيطة والحذر في هجرته للمدينة:

إن من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب وأخذ الحيطة والحذر من ابتدائها إلى انتهائها، يدرك أن الرعاية الربانية كانت تحوط رسول الله ﷺ في كل لحظة من لحظات الهجرة..

وظهر أثر تلك الرعاية في مواقف كثيرة في هذه الحادثة منها: وجود التنظيم الدقيق للهجرة وظهور الحس والوعي الأمني لدى

(١) ينظر: المنهج الحركي للغضبان ١/ ٤٩.

رسول الله ﷺ، فعلى سبيل المثال[١]:

١- جاء ﷺ إلى بيت أبي بكر في وقت شديد الحر- الوقت الذي لا يخرج فيه أحد- بل من عادته لم يكن يأتي فيه، لماذا؟ حتى لا يراه أحد.

٢- إخفاء شخصيته ﷺ أثناء مجيئه للصديق، وجاء إلى بيت الصديق متلثماً، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم[٢].

٣- أمر ﷺ أبا بكر أن يُخرِج مَنْ عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

٤- وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر[٣].

٥- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية ومسارب الصحراء، ولو كان ذلك الخبير مشركاً ما دام على خلق ورزانة[٤].

٦- انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شؤون الهجرة، ويلاحظ أن هذه الشخصيات كلها تترابط برباط القرابة،

---

(١) ينظر أحداث الهجرة والروايات الخاصة بها في سيرة ابن هشام وسيرة ابن كثير.

(٢) انظر: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية لإبراهيم على محمد، ص١٤١.

(٣) انظر: معين السيرة لصالح الشامي، ص١٤٧.

(٤) انظر: الهجرة في القرآن الكريم لأحزمي سامعون، ص٣٦١.

أو برباط العمل الواحد، مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

٧- فكرة نوم علي بن أبي طالب مكان الرسول، فكرة ناجحة، قد ضللت القوم وخدعتهم، وصرفتهم عن الرسول ﷺ.

٨- وعامر بن فهيرة: الراعي البسيط الذي قدم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار، وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه، كيلا يتفرسها القوم[١].

ثالثاً: حراسة الصحابة للنبي ﷺ في غزواته:

والأصل في ذلك تشرع صلاة الخوف، فالله تعالى يقول لنبيه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء١٠٢].

فهنا أمره الله تعالى بالصلاة جماعة، وتكون طائفة وظيفتها الحراسة .. أخذاً للحيطة والحذر.

ومن أثر التربية الربانية للنبي ﷺ على أخذ الحيطة والحذر، أن اتخذ رسول الله ﷺ الحرس يحرسونه، فحراسته حراسة للدعوة

---

(١) ينظر: السيرة النبوية للصلابي ١/ ٢٨٠- ٢٨١، وأضواء على الهجرة، لتوفيق محمد، ص٣٩٣: ٣٩٧.

وليست حراسة فقط لشخص رسول الله ﷺ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((**أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة**))، إذ سمعنا صوت السلاح، قال: ((**من هذا؟**)) قال: سعدٌ، يا رسول الله جئت أحرسك، ((**فقام النبي ﷺ فنام حتى سمعنا غطيطه**))[١].

وقد مرّ حديث عائشة رضي الله عنها أنه قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة١١٩] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: ((**يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله**))[٢].

وقد ذكر محمد بن يوسف الصالحي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد أنه حرسه ﷺ: "أبو قتادة الأنصاري، والأدرع الأسلمي، وأبو ريحانة، وأبو بكر الصديق حرسه في العريش. وأبو أيوب وقت دخوله على صفية بخيبر أو بعض الطريق، وسعد بن أبي وقاص بوادي القرى، وعباد بن بشر، ومحمد بن مسلمة حرسه يوم أحد، وبلال حرسه بوادي القرى، وعبد الله بن مسعود، والمغيرة بن شعبة حرسه حين وقف على رأسه بالسيف يوم الحديبية، والزبير بن العوام حرسه يوم الخندق، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، وذكوان بن عبد قيس حرسه بوادي القرى"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التمني، باب قوله ﷺ: ((ليت كذا وكذا)) (٧٢٣١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد للصالحي ٣٩٨/١١.

المطلب الرابع
حفظ الله لنبيه في صحته

من عناية الله بنبيه ﷺ رعايته له في الجانب الصحي من بداية نشأته، وإبراز هذا الجانب المهم من جوانب الرعاية في النقاط التالية:

١- رضاعة النبي ﷺ في بادية بني سعد:

سبق ذكرها وفيها أمران من الرعاية:

الأمر الأول: إرضاعه حولين كاملين: وهذا فيه من صحة الأبدان الشيء الكثير.

الأمر الثاني: أثر البادية في صحة الأبدان وصفاء النفوس، وذكاء العقول: قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "وتنشئة الأولاد في البادية، ليمرحوا في كنف الطبيعة، ويستمتعوا بجوها الطلق وشعاعها المرسل، أدنى إلى تزكية الفطرة وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق الأفكار والعواطف"[(١)].

٢- تعليم الله تعالى لنبيه أسس الطب التي يحفظ بها نفسه وغيره:

فقد ألف الإمام ابن القيم كتاباً بعنوان الطب النبوي، وبوب كثير من المحدثين كالإمام البخاري، والإمام مسلم في صحيحيهما أبواباً في الطب النبوي، وهذا من العلم الذي علم الله لنبيه ﷺ مباشرة عن طريق الوحي أو عن طريق البيئة التي عاش فيها.

وهناك بعض أنواع من العبادات أمر الله بها نبيه ﷺ حفظا لصحته وعلاج ووقاية من بعض الأمراض كالصلاة والوضوء له والصوم[(٢)].

---

(١) فقه السيرة للغزالي ص٦٠، ٦١.

(٢) ينظر: كتاب الاستشفاء بالصلاة. د. زهير رابح ص (٩٨) و(١٢٥)، ينظر كتاب: الصيام معجزة علمية، د. عبدالجواد الصاوي ص ١٤٢- ١٤٥، وكتاب الإعجاز الطبي في الصيام د. عبدالباسط محمد سيد.

وقد علم الله نبيه ﷺ الرقية والمعوذات التي يحفظه الله بها من كل الشرور البدنية والنفسية وكان رسول الله ﷺ يحافظ عليها ويأمر بها، ومن أمثلة ذلك ما ثبت عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[(١)].

عن عائشة ﵂: **((أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ عنه))**[(٢)].

فَفِعل النبي ﷺ هذا ودعوته إليه لم يكن إلا عن طريق الوحي الرباني من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم٣-٤].

٣- رقية جبريل للنبي ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري ﵁، أن جبريل، أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذتين (٥٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣٩) واللفظ له، ومسلم في كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (٢١٩٢).

اشتكيت؟ فقال: ((نعم)) قال: ((**باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك**))[١].

٤- شفاء الله لنبيه من السحر:

عن عائشة ﵂، قالت: سحر النبي ﷺ، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: ((**أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: فيما ذا، قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر، قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان**)) فخرج إليها النبي ﷺ، ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: ((**نخلها كأنه رءوس الشياطين**)) فقلت استخرجته؟ فقال: ((**لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرا**)) ثم دفنت البئر[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب الطب والمرض والرقى (٢١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٦٨).

الفصل الرابع
الرعاية النفسية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الضحى.

المبحث الثاني: ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الشرح.

المبحث الثالث: تثبيت نفس النبي ﷺ.

المبحث الرابع: تبشير النبي ﷺ.

المبحث الأول

ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الضحى

قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحى١-١١].

ورد في سبب نزولها: عن جندب بن سفيان ﷺ قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا. فأنزل الله عز وجل ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1].

إن "هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها، ومشاهدها، وظلالها، لمسة من حنان، ونسمة من رحمة، وطائف من ود، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتنسمٌ بالروْح والرضا والأمل، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين، إنها كلها خالصة للنبي ﷺ كلها نجاءً له من ربه، وتسرية وتسلية وترويح وطمأنة، كلها أنسام من الرحمة ونداءات من الود، وألطاف من القربى، وهدهدة للروح المتعبة، والخاطر المقلق، والقلب الموجوع".

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الضحى(٤٩٥٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (١٧٩٧).

ويمكن بيان أوجه الرعاية النفسية للنبي ﷺ من خلال سورة الضحى في التالي:

أولا: طمأنة النبي ﷺ بمعيته له:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ فقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾: "أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة"(١). أما قوله: ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾:أي: وما أبغضك(٢).

"نعم. إنه ما تركك ربك من قبل أبداً، وما قلاك من قبل قط، وما أخلاك من رحمته ورعايته وإيوائه، نعم. إنه ما تركك ربك ولا جفاك كما زعم من يريدون إيذاء روحك وإيجاع قلبك وإقلاق خاطرك. وهو ﴿ رَبُّكَ ﴾ وأنت عبده المنسوب إليه، المضاف إلى ربوبيته، وهو راعيك وكافلك.

إن الوحي ولقاء جبريل والاتصال بالله، كانت هي زاد الرسول ﷺ في مشقة الطريق، وسقياه في هجير الجحود، وكان ﷺ يحيا بها في هذه الهاجرة المحرقة التي يعانيها في النفوس النافرة الشاردة العصية العنيدة، ويعانيها في المكر والكيد والأذى المصبوب على الدعوة؛ على الإيمان، وعلى الهدى من طغاة المشركين.

فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد، وانحبس عنه الينبوع، واستوحش قلبه من الحبيب، وبقي للهاجرة وحده بغير ما اعتاد من صلة الحبيب الودود، وهو أمر أشد من الاحتمال من جميع الوجوه، وخصوصاً أنه في بداية أمر الدعوة".

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٤٢٥.

وقد تحدث علماء السيرة قديمًا وحديثًا عن فترة الوحي، فقال ابن حجر: "وفتور الوحي عبارة عن تأخيره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود[١].

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث- أي بحديث النبي ﷺ- عن فترة الوحي: ((**بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني فأنزل الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾[المدثر:١-٥] **فحمى الوحي وتتابع**))[٢].

ثانيا: طمأنة النبي ﷺ بأن الآخرة له:

قال تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾: قال ابن جرير: "أي: وللدار الآخرة وما أعد الله لك فيها، خير لك من الدار الدنيا وما فيها. يقول: فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها"[٣]."أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة"[٤].

وقيل: "لنهاية أمرك خير من بدايته. فإنه ﷺ لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال"[٥].

(١) فتح الباري لابن حجر ١/٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب٣ح(٤). ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (١٦١)

(٣) جامع البيان للطبري ٢٤/ ٢٨٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٩٢٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٩٢٨.

فالله تعالى: "ما غاض معين فضله وفيض عطائه. فإن لك عنده في الآخرة من الحسنى خيراً مما يعطيك منها في الدنيا، فهو الخير أولاً وأخيراً".

ثالثا: وعده الله بالعطاء الذي يرضيه:

وعد الله نبيه بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ أي: "ولسوف يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نعمه، حتى ترضى"(١). فـ"لا تسأل عن حاله في الآخرة من تفاصيل الإكرام وأنواع الإنعام فهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة"(٢).

أي: "وإنه ليدخر لك ما يرضيك من التوفيق في دعوتك، وإزاحة العقبات من طريقك، وغلبة منهجك، وظهور حقك، وهي الأمور التي كانت تشغل باله ﷺ وهو يواجه العناد والتكذيب والأذى والكيد، والشماتة".

وهذا شامل أيضا "لما منحه بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وفتح البلاد ودينونة العباد ونقص ممالك الجبابرة، وإنهاب كنوز الأكاسرة والقياصرة، وإحلال الغنائم حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، وشامل لما ادخره له سبحانه وتعالى في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود، والشفاعة العظمى إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود"(٣).

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٤/ ٢٨٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٨.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٢٢/١٠٨.

وهذا يشمل: "أن يعطيه في الدار الآخرة حتى يرضيه في أمته، وفيما أعدَّه له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر، وقيل: من رضاء محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته الذين ماتوا على سنته وهديه النار، وقيل معنى العطاء: الشفاعة"(١).

"وبالجملة فهذه الآية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين، حيث أجملهُ ووكلهُ إلى رضاهُ وهذا غاية الإحسان والإكرام"(٢).

رابعا: ذكره ربه ببعض نعمه التي عاش ويعيش فيها ليزداد طمأنينة:

ثم ذكره ربه تعالى ببعض ما أنعم عليه من نعم تطييباً لخاطره، وليقوم بشكر تلك النعم، فقال له: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى٦-١١].

قال أبو السعود: "تعديد لما أفاض عليه من أول أمره إلى ذلك الوقت، من فنون النعماء العظام، ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود. فيطمئن قلبه وينشرح صدره"(٣).

وكأن الله تعالى يقول لنبيه: "انظر في واقع حالك، وماضي

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٦/٨ بتصرف واختصار.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٤٩٢/٩.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٩/ ١٧٠.

حياتك.. هل ودعك ربك وهل قلاك- حتى قبل أن يعهد إليك بهذا الأمر؟ - ألم تحط يتمك رعايته؟ ألم تدرك حيرتك هدايته؟ ألم يغمر فقرك عطاؤه؟ لقد ولدت يتيما فآواك إليه، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبي طالب وهو على غير دينك! ولقد كنت فقيرا فأغنى الله نفسك بالقناعة، كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك -خديجة رضي الله عنها- عن أن تحس الفقر، أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء! ثم لقد نشأت في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد، منحرفة السلوك والأوضاع، فلم تطمئن روحك إليها. ولكنك لم تكن تجد لك طريقا واضحا مطمئنا. لا فيما عند الجاهلية ولا فيما عند أتباع موسى وعيسى الذين حرفوا وبدلوا وانحرفوا وتاهوا.. ثم هداك الله بالأمر الذي أوحى به إليك، وبالمنهج الذي يصلك به.

والهداية من حيرة العقيدة وضلال الشعاب فيها هي المنة الكبرى، التي لا تعدلها منة وهي الراحة والطمأنينة من القلق الذي لا يعدله قلق ومن التعب الذي لا يعدله تعب فجاءت هذه تذكره وتطمئنه على أن ربه لن يتركه بلا وحي في التيه وهو لم يتركه من قبل في الحيرة والتيه!".

المبحث الثاني
ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الشرح

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح١-٦].

"نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى. وكأنها تكملة لها. فيها ظل العطف الندي. وفيها روح المناجاة الحبيب. وفيها استحضار مظاهر العناية. واستعراض مواقع الرعاية. وفيها البشرى باليسر والفرج. وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق"(١)

أي: "نوسع قلبك لشرائع الدين والدعوة إلى الله، فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: ذنبك، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أثقل. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه"(٢)

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٦/٣٩٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٩.

"وقد تركت سورة الشرح والضحى في النفس شعوراً بعظمة الود الحبيب الجليل الذي ينسم على روح الرسول ﷺ من ربه الودود الرحيم. والشعور بالعطف على شخصه ﷺ ونحن نكاد نلمس ما كان يساور قلبه الكريم في هذه الآونة التي اقتضت ذلك الود الجميل، إنها الدعوة، هذه الأمانة الثقيلة وهذا العبء الذي ينقض الظهر!".

فهذه الآيات "تشير بأن هناك ضائقة كانت في نفس الرسول ﷺ لأمر من أمور هذه الدعوة التي كلفها، ومن العقبات الوعرة في طريقها؛ ومن الكيد والمكر المضروب حولها.. توحي بأن صدره ﷺ كان مثقلاً بهموم هذه الدعوة الثقيلة، وأنه كان يحس العبء فادحاً على كاهله. وأنه كان في حاجة إلى عون وزاد ورصيد..

ثم كانت هذه المناجاة الحلوة، وهذا الحديث الودود" بذكر عدد من النعم والمنن التي أعطها الله تعالى لحبيبه ﷺ وهي:

أولا: شرح صدر النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: "أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا"[1] كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام: ١٢٥].

وابتدأت الآية بـ "الاستفهام التقريري، ومقصوده التذكير لأجل أن يراعي هذه المنة عندما يخالجه ضيق صدر مما يلقاه من

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٠/٤٠٧.

أذى قوم يريد صلاحهم وإنقاذهم من النار ورفع شأنهم بين الأمم، ليدوم على دعوته العظيمة نشيطاً غير ذي أسف ولا كمد"[(١)]، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨]. قال ابن كثير: "وكما شرح الله صدره جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا ضيق"[(٢)].

وقد شرح الله صدر نبيه ﷺ في الحس والواقع أيضاً، فعن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة: أن النبي ﷺ قال: ((**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين. فأتيت فانطلق بي فأُتِيتُ بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا**)). قال قتادة: فقلت للذي معي؟:ما يعني قال إلى أسفل بطنه ((**فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيماناً**))[(٣)].

وعلى هذا فشرح صدر النبي ﷺ يشتمل على ثلاثة أمور:

١- تهيئته لحمل الرسالة ونشرها في العالمين.

٢- تشجيعه على المضي في الدعوة إلى الله وإظهار الحق ولو كره المشركون.

٣- تنظيف صدره من غوائل الدنيا وشهواتها وإبداله مكانها بالعلم والإيمان.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٤٠٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٢٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١٦٤).

ثانياً: عصمة النبي ﷺ من الوزر:

قال تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾: "أي حططنا عنك ذنبك، كقوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[الفتح: ٢]"[(١)]، و"الوزر هو: الثقل الذي كان على رسول الله ﷺ، وحيرته قبل البعثة إذ كان يرى سوء ما قريش فيه من عبادة الأصنام، وكان لم يتجه له من الله أمر واضح، فوضع الله تعالى عنه ذلك الثقل بنبوته وإرساله. وقيل: خففنا عنك أثقال النبوة، وأعنَّاك على الناس"[(٢)].

"وقوله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي أثقله حتى سمع نقيضه، أي صوته. وأهل اللغة يقولون: أنقض الحمل ظهر الناقة: إذا سمعت له صريراً من شدة الحمل.

فـ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي: أثقله وأوهنه، وإنما وصفت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل، مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها.

قال الحسين بن المفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: كان في الابتداء يثقل عليه الوحي.

وقيل: عصمناك عن احتمال الوزر، وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس، حتى نزل عليك الوحي وأنت مطهر من الأدناس"[(٣)].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٠٥.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥/٤٩٧.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٢٤/ ٤٩٣-٤٩٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٠٥-١٠٦ بتصرف واختصار.

ثالثاً: رفع ذكر النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: "أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله عز وجل- غالباً- إلا ويذكر معه رسوله ﷺ، كما في شهادة الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ.

وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جازى نبيًا عن أمته"(١).

"ورفع الذكر يكون بإلهام الناس لأن يذكروه بخير، وذلك بإيجاد أسباب تلك السمعة حتى يتحدث بها الناس، واستعير الرفع لحسن الذكر لأن الرفع جَعْلُ الشيء عالياً لا تناله جميع الأيدي ولا تدوسه الأرجل، فقد فُطِر ﷺ على مكارم أخلاقٍ يَعِزُّ وجود نوعها ولم يبلغ أحدٌ شأو ما بلغه منها حتى لُقب في قومه بالأمين"(٢).

"ورفع الذكر نعمة على الرسول ﷺ، وكذلك جميلٌ حسنٌ للقائمين بأمور الناس، وخمول الذكر والاسم حسن للمنفردين للعبادة"(٣).

"يرفع ذكره عند كل عبادة، كل عبادة مرفوع فيها ذكر الرسول ﷺ، وذلك لأن كل عبادة لابد فيها من شرطين أساسيين هما: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، ومن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٩ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤١٢/٣٠.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٩٨/١٥.

المعلوم أن المتابع للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم سوف يستحضر عند العبادة أنه متبع فيها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا من رفع ذكره"[١].

الرابع: تبشيره بأن مع العسر يسراً:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾

و"العُسْر: المشقة في تحصيل المرغوب والعمل المقصود، واليسر: سهولة تحصيل المرغوب، وعدم التعب فيه"[٢].

وهذه "بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر[٣]، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٧] وكما قال النبي ﷺ: ((**وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا**))[٤].

وتعريف العسر في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير اليسر يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين[٥]، وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر -وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ- فإنه في آخره التيسير ملازم له"[٦].

---

(١) تفسير جزء النبأ- ابن عثيمين ص٩٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٤١٥.

(٣) هذا القول لابن مسعود انظر : جامع البيان للطبري ٢٤/٤٩٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٠٧ (٣٨٠٤)، قال: شعيب الأرنؤوط: صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٣٨٢).

(٥) هذه المقولة مروية عن عمر بن الخطاب كما سيأتي الموطأ ٢/٤٤٦.

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٩٢٩.

المبحث الثالث
تثبيت نفس النبي ﷺ

لقد ثبّت الله قلب نبيه محمد ﷺ، ليعينه على تحمل تبعات التلقي والدعوة، ويمكن بيان ذلك النقاط التالية:

أولًا: إزالة ما في قلب النبي من الرهبة:

في حادثة أول نزول لجبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ((.. فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: **فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق ١-٣] **)).**

فرجع بها رسول الله ﷺيرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: ((**زملوني زملوني**)). فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال: ((**لقد خشيت على نفسي**)). فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1].

فهذه الضمة التي حصلت لرسول الله ﷺفي أول درس من دروس العلم فيها من الدفء والحنان والتهدئة من روعه وخوفه من هول ما رأى ولها أثرها الكبير.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب بدء الوحي (٣).

وأيضاً موقف السيدة خديجة رضي الله عنها من التهدئة من خوف النبي ﷺ وطمأنته بأنه لن يصيبه أذى لأنه تتوفر فيه صفات ليست عند أحد كل ذلك مما يزيل ما بالنبي ﷺ من رهبة.

وهذا ما حدث كذلك لموسى عليه السلام، في أول بداية الوحي: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه٢١].

ثانيا: إنزال السكينة على الرسول ﷺ في مواضع متعددة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾[الفتح: ٢٦].

"والسكينة الوقورة الهادئة، كالتقوى المتحرجة المتواضعة كلتاهما تليق بالقلب المؤمن الموصول بربه، الساكن بهذه الصلة. المطمئن بما فيه من ثقة. المراقب لربه في كل خالجة وكل حركة، فلا يتبطر ولا يطغى ولا يغضب لذاته، إنما يغضب لربه ودينه. فإذا أمر أن يسكن ويهدأ خشع وأطاع. في رضا وطمأنينة".

"وثمرة هذه السكينة: الطمأنينة للخير تصديقاً وإيقاناً، وللأمر تسليماً وإذعاناً، فلا تدع شبهة تعارض الخير، ولا إرادة تعارض الأمر، فلا تمر معارضات السوء بالقلب إلا وهي مجتازة من مرور الوساوس الشيطانية التي يبتلى بها العبد؛ ليقوى إيمانه، ويعلو عند الله ميزانه"(١).

(١) بدائع التفسير ٢/٤٥٩.

ثالثا: علاج ما في قلب النبي ﷺ من الضيق من الكفار وكفايته:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٤ – ٩٩].

"لما ذكر تعالى أن قومه يهزءون ويسفهون، أعلمه بما يعلمه سبحانه منه، من ضيق صدره وانقباضه بما يقولون: لأن الجبلّة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك. ثم أعلمه بما يزيل ضيق الصدر والحزن. وذلك أمره من التسبيح والتحميد والصلاة. كما قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومعلوم أن في الإقبال على ما ذكر، استنزال الإمداد الربانيّ بالنصر والمعونة. لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]"[(١)].

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] "أي في ضيق صدر مما يمكرون من فنون المكايد فإنه تعالى كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك بهم"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] أي: حفظناك من شرّهم، فلا ينالك منهم ما يحذر. وهذا ضمان منه تعالى، له صلوات الله عليه، لينهض بالصدع نهضة من لا يهاب ولا يخشى. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٦/٣٤٧.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٢٥.

وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٦٧]"[(١)].

"فهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة"[(٢)].

رابعا: التسلية لرسول الله ﷺ:

فقد مرت على النبي ﷺ فترة من أشد الفترات عليه حتى سمّاها أهل السيرة عام الحزن فقد ماتت زوجته وعمه وأوذي من أهل الطائف، فكانت عناية الله تعالى تحرسه وترعاه فإذا برحلة الإسراء والمعراج التي أزالت تلك الشدة التي لحقت برسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

"والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعا»، رسالة تسلية وطمأنة وتثبيت لرسول الله ﷺ".

"فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه حيث يسره لليسرى في جميع أموره، وخَوّلَه نعما فاق بها الأولين والآخرين"[(٣)].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٦/٣٤٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٣٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٥٣.

خامسا: طمأنته ﷺ بقوة المنهج الذي يدعو إليه:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى٥٢-٥٣].

"فهي الهداية إلى طريق الله، الذي تلتقي عنده المسالك. لأنه الطريق إلى المالك، الذي له ما في السماوات وما في الأرض فالذي يهتدي إلى طريقه يهتدي إلى ناموس السماوات والأرض، وقوى السماوات والأرض، ورزق السماوات والأرض، واتجاه السماوات والأرض إلى مالكها العظيم. الذي إليه تتجه، والذي إليه تصير".

سادسا: تثبيت قلب النبي بالقصص:

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[هود: ١٢٠].

قال القاسمي: "أي نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل من قبلك، وتعلم أن العاقبة لك، كما كانت لهم"(١).

وقال السعدي: "أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به"(٢)، فلقد كان يجد من قومه، ومن انحرافات النفوس، ومن أعباء الدعوة، ما يحتاج معه إلى التسلية والتسرية والتثبيت من ربه- وهو الصابر الثابت المطمئن إلى ربه.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي٦/١٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٩٢.

المبحث الرابع

تبشير النبي ﷺ

من الرعاية النفسية من الله لنبيه محمد ﷺ تبشيره ببعض الأمور التي تثبته على الحق وتعينه في طريق التلقي من الله والدعوة والتعلم والتعليم لما تلقاه من وحي.

ويمكن إجمال بعض هذه المبشرات في النقاط التالية:

١- تبشير النبي ﷺ بأنه في رعاية الله:

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[الطور: ٤٨].

قال ابن جرير: "فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين"(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين أي: "نراك بأعيننا ونراقبك ونلاحظك، ونعتني بك"(٢).

٢- تبشير النبي ﷺ بأن العاقبة للمتقين:

قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[هود: ٤٩].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢/٤٨٨.

(٢) تفسير جزء الذاريات ص ٢٠٢.

فهذه بشرى من الله لنبيه ﷺ، أن العاقبة له ولمن معه ولذلك يوصيه بالصبر المؤدي لتلك العاقبة، قال القاسمي: "فَاصْبِرْ أي على تبليغ الرسالة، وأذى قومك، وتوقع العاقبة لك، أي في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالنعيم الأبدي، لِلْمُتَّقِينَ أي عن الشرك والمعاصي"(١).

٣- تبشير النبي بالفتح والنصر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾[الفتح: ١ – ٣].

"التحقيق الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية، لأنه فتح عظيم. وإيضاح ذلك أن الصلح المذكور هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار فيدعوهم إلى الإسلام وبينو لهم محاسنه، فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام"(٢).

"قال الأزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فرأوا ما لا أعدل منه كثير"(٣).

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي٦/١٠٦.

(٢) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٧/٣٩٣.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٧/١٨٤.

ومن كمال تلك البشرى أن جمع فيها بين الهدى والنصر "لأن هذين الأصلين بهما كمال السعادة والفلاح فإن الهدى هو العلم بالله ودينه والعمل بمرضاته وطاعته فهو العلم النافع والعمل الصالح والنصر والقدرة التامة على تنفيذ دينه"(١).

٤- تبشير النبي ﷺ بفتح مكة:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[الفتح: ٢٧].

فقد بشر الله رسوله ﷺ بدخول مكة من خلال رؤيا في المنام، قال ابن جرير: "لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصِّرا بعضهم رأسه، ومحلِّقا بعضهم"(٢).

٥- تبشير النبي ﷺ بالتوبة عليه:

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[التوبة: ١١٧].

قال القاسمي: "اعلم أن الله تعالى لما بين فيما تقدم مراتب الناس في أيام غزوة تبوك، مؤمنهم ومنافقهم، والمنفق لها طوعا أو كرها، والمرغّب فيها أو عنها، والمتخلف نفاقا أو كسلا، وأنبأ عما لحق كلّا من الوعد والوعيد، وميز الصادقين من غيرهم- ختم

(١) بدائع التفسير لابن القيم ٤/١٦٧.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٢/٢٥٧.

بفرقة منهم كانوا تخلفوا ميلا للدعة. وهم صادقون في إيمانهم، ثم ندموا فتابوا وأنابوا، وعلم الله صدق توبتهم، فقبلها، ثم أنزل توبتهم في هذه الآية، وصدرها بتوبته على رسوله، وكبار صحبه جبرا لقلوبهم، وتنويها لشأنهم بضمهم مع المقطوع بالرضا عنهم وبعثا للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار، حتى النبيّ والمهاجرين والأنصار، كل على حسبه، وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله، وأنها صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء"(١).

٦- تبشير النبي ﷺ بأن الله سييسره لليسر:

قال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى:٨]. قال ابن جرير: "ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليُسرَى، واليُسرَى: هو الفُعل من اليسر"(٢).

"فهذه أيضًا بشارة كبيرة، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرا"(٣)، "فرسول الله ﷺ وعده الله بأن ييسره لليسرى فيسهل عليه الأمور، ولهذا لم يقع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شدة وضنك إلا وجد له مخرجاً"(٤).

٧- تبشير النبي ﷺ بنهر الكوثر في الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[الكوثر: ١].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٥/٥١٨.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٤/٢٧٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٩٢٠.

(٤) تفسير جزء النبأ لابن عثيمين ص ١٦٤.

"جاءت سورة الكوثر تزفّ إلى سيد المؤمنين بالله واليوم الآخر، هذا العطاء الجزيل، وذلك الفضل الكبير من ربه.. ومن هذا العطاء، وذلك الفضل ينال كلٌّ مؤمن ومؤمنة نصيبه من فضل الله، وعطائه على قدر ما عمل"(١).

افتتاح الكلام بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي ﷺ، والكلام مسوق مساق البشارة وإنشاء العطاء لا مساق الأخبار بعطاء سابق.

وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعطاء عظيم(٢)، وتذكير بأن المعطي هو الله وحده ليتعلق القلب بمالك الملك والقادر على كل شيء، وأما من سواه فهو لا يضر ولا ينفع.

والكوثر هو: "الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته: ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة؛ من النهر الذي يقال له ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾"(٣).

فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أعطيتُ الكوثر، فإذا هو نهر يجري، ولم يُشق شقًّا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته، فإذا مسكه ذَفَرة، وإذا حصاه اللؤلؤ**))(٤).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٣/٩٢.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٥٧٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٣٥.

(٤) أخرجه أحمد ٣/١٥٢(١٢٥٢٦)، قال شعيب الأرنؤوط ﴿إسناده صحيح على شرط مسلم﴾، وأبي يعلى ٦/٢٣٦(٣٥٢٩)، وقال محمد بن سليم: إسناده صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٣).

٨- تبشير النبي ﷺ بأن الله ثبته وعصمه من الركون للكفار:

قال تعالى:﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾ [الإسراء:٧٣- ٧٤].

هو "إخبار عن تأييده تعالى رسوله، صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته وعصمته وتولي أمره وحفظه. فإن المشركين، لكثرة تفننهم في ضروب الأذى وشدة تعنتهم وقوة شكيمتهم، كادوا أن يفتنوه، ولكن عناية الله وحفظه، هو الذي ثبت قدمه في مثل مقامه في الدعوة إلى الله الذي لا يثبت فيه أحد غيره"(١).

٩- تبشير الله لنبيه ﷺ بأنه سيحفظه من شر الأعداء:

قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]. قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: وإن يرد، يا محمد، هؤلاء خداعَك والمكرَ بك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾، يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعَهم إياك"(٢). وكفى بالله سبحانه مؤيدا وناصرا وحافظا.

فهذه نماذج فقط من رعاية الله لنبيه ﷺ في الجانب النفسي.. توجهنا للعناية بهذا الأمر تجاه طلاب العلم وحملته.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٤٧٩.

(٢) جامع البيان للطبري ١٤/ ٤٤.

الفصل الخامس
الرعاية الدعوية

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: الرعاية من حيث تهيئة المكان والزمان والناس.

المبحث الثاني: إيجاد المعين له في الدعوة.

المبحث الثالث: عرض التجارب الدعوية السابقة للاستفادة منها.

المبحث الرابع: التهيئة ببيان شدة أمر الدعوة.

المبحث الخامس: تعليم النبي مهامه ووظائفه وقدراته.

المبحث السادس: إرشاد النبي لوسائل وأساليب الدعوة.

المبحث السابع: تنبيه النبي ﷺ عند الخطأ.

المبحث الثامن: تعليم النبي ﷺ التخاطب مع أصناف المدعوين.

المبحث الأول
الرعاية من حيث تهيئة المكان والزمان والناس

من رعاية الله تعالى لنبيه أن اختار له المكان والزمان والفئة المناسبة لبدء دعوته، ولإظهار أثر هذه الرعاية وأهميتها نتعرض للمطالب التالية:

المطلب الأول
اختيار الله تعالى لنبيه المكان المناسب لبداية الدعوة

فقد نشأ وبدأ ﷺ دعوته في مكة قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾[الأنعام٩٢]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾[الشورى: ٧].

"قد اختار الله أن تكون هي وما حولها من القرى موضع هذه الرسالة الأخيرة؛ وأنزل القرآن بلغتها العربية لأمر يعلمه ويريده. و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وحين ننظر اليوم من وراء الحوادث واستقرائها، ومن وراء الظروف ومقتضياتها، وبعد ما سارت هذه الدعوة في الخط الذي سارت فيه، وأنتجت فيه نتاجها.. حين ننظر اليوم هذه النظرة ندرك طرفاً من حكمة الله في اختيار هذه البقعة من الأرض، في ذلك الوقت من الزمان، لتكون مقر الرسالة الأخيرة، التي جاءت للبشرية جميعاً. والتي تتضح عالميتها منذ أيامها الأولى.

وكانت الجزيرة العربية، وأم القرى وما حولها بالذات، هي أصلح مكان على وجه الأرض لنشأة الإسلام يومئذ، وأصلح نقطة

يبدأ منها رحلته العالمية التي جاء من أجلها منذ اللحظة الأولى".

فمكة تميزت بما ساعد النبي ﷺ في إيصال دعوته، وتحقيق عالمية هذا الدين في كل أرجاء المعمورة، فقد كانت مكة:

١- فيها دعوة إبراهيم عليه السلام، وولده إسماعيل: كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[الحج: ٢٦].

٢- وهي بلد أمن مباركة كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[القصص: ٥٧].

٣- فيها الكعبة بيت الله الحرام ملتقى الحجيج.

٤- توسطها الجغرافي في قلب العالم وملتقى الطرق.

وهناك أسباب أخر ترجع لزمن وشخصية من نزلت فيهم هذه الرسالة تجدها في المطالب القادمة بإذن الله.

المطلب الثاني
اختيار الله تعالى لنبيه الزمن المناسب للدعوة والجهر بها

لقد اختار الله تعالى لنبيه محمد ﷺ زمان دعوته لكي يخرج للناس وهم في أمس الحاجة إليه، ولا يخرج لهم وهم في استقرار وطمأنينة في جميع أحوالهم.

وكذلك اختار الله تعالى لنبيه محمد ﷺ زمان دعوته من حيث تأهيله لأمر الدعوة واستطاعته القيام بها على الوجه الأكمل، ويتضح هذا من التصور خلال النقاط التالية:

أولًا: الضلال الذي كان فيه الناس وقت البعثة:

فالناظر إلى الزمن الذي بعث الله فيه نبينا محمد ﷺ يجد أنه قد وصل الضلال والجهل بالناس على اختلاف مواقعهم الجغرافية وثقافاتهم ودياناتهم درجة لا بد فيها من منقذ ولا بد فيها من مصلح ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

١ - الظلال من ناحية الممالك الموجودة:

"كان يوجد وقت بعثة النبي ﷺ عدد من الممالك:

- **الإمبراطورية الرومانية:** كانت دولة ظالمة مارست الظلم والجور والتعسف على الشعوب التي حكمتها، وكثرت الاضطرابات والثورات، وكانت حياتهم العامة قائمة على كل أنواع اللهو واللعب والطرب والترف.
- **الإمبراطورية الفارسية:** كثرت فيها الديانات المنحرفة، وانتشرت فيها الإباحية والفساد في كل شيء؛ مما أدى إلى انتشار ثورات الفلاحين وتزايد النهابين للقصور، وكانوا يقبضون أو يأسرون ويستولون على الأملاك والعقارات، وكان ملوكهم يحكمون بالوراثة، ويعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة.
- **الهند:** انتشرت فيها الخلاعة حتى في المعابد؛ لأن دينهم أعطاها لونًا من التقديس والتعبد، وكانت المرأة لا قيمة لها ولا عصمة، وانتشرت عادة إحراق المرأة المتوفى زوجها،

والتفاوت الفاحش بين طبقات الشعب، وكان ذلك تابعا لقانون مدني سياسي ديني وضعه المشرعون الهنود، وكانت في فوضى وتمزق، فانتشرت الحروب الطاحنة، والجهل العميق بكل شيء.

-**العرب**: ابتليت الأمة العربية بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيفة لا مثيل لها، وانحرافات خلقية، واجتماعية، وفوضى سياسية، وتشريعية، ومن ثم قل شأنهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن يكونوا تابعين للدولة الفارسية أو الرومانية، وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم الآباء والأجداد والأصنام.

٢- الضلال من الناحية الدينية:

كانت الإنسانية قبل بعثة الرسول ﷺ تعيش مرحلة من أحط مراحل التاريخ البشري في جميع شؤونها، وهيمن المنهج الجاهلي على العقائد والأفكار والتصورات والنفوس، وأصبح الجهل والهوى والانحلال والفجور، والتجبر والتعسف من أبرز ملامح ذلك العصر.

وضاع تأثير الديانات السماوية على الحياة أو كاد، وانشغل أهلها بالصراعات العقدية النظرية التي كان سببها دخول الأفكار البشرية، والتصورات الفاسدة على هذه الأديان، حتى أدى إلى الحروب الطاحنة بينهم، ومن بقي منهم لم يحرف ولم يبدل قليل نادر، وآثر الابتعاد عن دنيا الناس ودخل في حياة الخلوة والعزلة طمعًا في النجاة بنفسه يأسًا من الإصلاح، ووصل الفساد إلى جميع الأصناف والأجناس البشرية، ودخل في جميع المجالات بلا استثناء.

وقد أشار النبي ﷺ إلى عموم هذا الفساد لجميع الأجناس وجميع المجالات بلا استثناء فقد قال ﷺ ذات يوم في خطبته: ((**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل ما نحلته**[١] **عبدًا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**))[٢].

والحديث يشير إلى انحراف البشرية في جوانب متعددة كالشرك بالله، ونبذ شريعته وفساد المصلحين من حملة الأديان السماوية ومالأتهم للقوم على ضلالهم"[٣].

ثانياً: إتمام إعداد النبي ﷺ من أجل الدعوة:

لقد أعد الله تعالى نبيه محمد ﷺ قبل البعثة من جميع النواحي فلم يبعثه إلا وقد اكتملت شخصية النبي ﷺ وأصبح قادرا على هذا العبء الثقيل ومن الجوانب التي ظهرت وكانت عوناً للنبي ﷺ على أداء رسالته:

١- الجانب الإيماني بتحنثه في غار حراء.

٢- الجانب الأخلاقي باشتهاره بالصدق والأمانة، وحسن الخلق ومكارم الأخلاق.

٣- الجانب المهاري برجاحة العقل، وحل المنازعات واشتراكه في رفع الظلم.

---

(١) نحلته: أعطيته. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة، باب الصفات (٢١٩٧).

(٣) انظر: السيرة النبوية للصلابي ١/١٥-٢٢ باختصار وتصرف.

٤- الجانب السلوكي بحفظ الله له من ارتكاب ما كان عليه أهل الجاهلية من انحرافات وسلوكيات منافية للدين والعرف والأخلاق.

٥- وغيرها من الجوانب التي جعلت الوقت مناسباً لكي يحمل النبي ﷺ هذا الهم الدعوي الكبير.

المطلب الثالث

اختيار الله تعالى لنبيه فئة الناس الذين سيبدأ معهم الدعوة

"وقد اختار الله العرب، ليتلقّوا هذه الدعوة أولا، ثمّ يبلّغوها إلى أبعد أنحاء العالم، لأنّ ألواح قلوبهم كانت صافية، لم تكتب عليها كتابات دقيقة عميقة يصعب محوها وإزالتها، شأن الروم، والفرس، وأهل الهند، الذين كانوا يتيهون ويزهون بعلومهم وآدابهم الراقية، ومدنيّاتهم الزاهية، وبفلسفاتهم الواسعة، فكانت عندهم عقد نفسية وفكرية، لم يكن من السَّهل حلُّها.

أمّا العرب فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خطّتها يد الجهل والبداوة، ومن السَّهل الميسور محوها وغسلها، ورسم نقوش جديدة مكانها، وبالتعبير العلميِّ المتأخِّر: كانوا أصحاب الجهل البسيط الذي تسهل مداواته، بينما كانت الأمم المتمدِّنة الراقية في هذا العصر مصابة بالجهل المركَّب الذي تصعب مداواته وإزالته.

وكانوا على الفطرة، وأصحاب إرادة قوية، إذا التوى عليهم فهم الحقّ حاربوه، وإذا انكشف الغطاء عن عيونهم، أحبُّوه واحتضنوه، واستماتوا في سبيله.

وكانوا واقعيّين جادّين، أصحاب صراحة وصرامة، لا يخدعون غيرهم ولا أنفسهم، اعتادوا القول السديد، والعزم الأكيد.

وكان العرب بمعزل عن أدواء المدنية والترف، التي يصعب علاجها، والتي تحول دون التحمس للعقيدة والتّفاني في سبيلها.

وكانوا أصحاب صدق وأمانة وشجاعة، ليس النّفاق والمؤامرة من طبيعتهم، وكانوا مغاوير حرب، وأحلاس خيل، وأصحاب جلادة وتقشّف في الحياة، وكانت الفروسية هي الخلق البارز الذي لا بدّ أن تتصف به أمة تضطلع بعمل جليل، لأنّ العصر كان عصر الحروب والمغامرات، والفتوّة والبطولة.

وكانت قواهم العملية والفكرية، ومواهبهم الفطرية، مذخورة فيهم، لم تستهلك في فلسفات خيالية، وجدال عقيم «بيزنطيّ» ومذاهب كلامية دقيقة، وحروب إقليمية سياسية، فكانت أمّة بكرا، دافقة بالحياة والنشاط، والعزم والحماس.

وكانوا أمّة نشأت على الهيام بالحريّة والمساواة، وحبّ الطبيعة، والسّذاجة، لم تخضع لحكومة أجنبية، ولم تألف الرقّ والعبودية، واستعباد الإنسان للإنسان، ولم تتمرّس الغطرسة الملوكيّة الإيرانية أو الرّومانية، واحتقارها للإنسان والإنسانية"[١].

ولذا لو نظرنا إلى الناس وهم العرب الذين أرسل إليهم النبي ﷺ لوجدناهم هم أفضل من على الأرض لتوجه إليهم تلك الدعوة وذلك لأسباب[٢]:

---

(١) انظر: السيرة النبوية للندوي ص٨٧ وما بعدها باختصار.

(٢) تم تلخيص هذه النقاط من كتاب السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١/ ٣٢، السيرة النبوية لأبي شهبة ١/ ٦٠.

أولًا: الأسباب الدينية:

١- أن العرب لم يكونوا أصحاب فكر فلسفي يحير العقول.

٢- الفطرة التي عليها العرب وارتباطهم بالطبيعة وصفاء أذهانهم.

٣- أن العرب تعرف الله تعالى ولم يكن عندها الإلحاد.

٤- وجود بقية من دين إبراهيم عليه السلام، وكان يوجد بعض الأفراد من الحنفاء الذين يرفضون عبادة الأصنام، وما يتعلق بها من الأحكام والنحائر وغيرها، كزيد بن عمرو بن نفيل.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية:

١- أن النبي ﷺ عربي وعاش وترعرع معهم وعلم أمورهم كلها.

٢- وحدة الجماعة على أساس من التضامن بينهم في الحقوق والواجبات.

٣- الحرية من أخص خصائص العرب، ويعشقونها ويأبون الضيم والذل وكل فرد في القبيلة ينتصر لها، ويشيد بمفاخرها، وأيامها.

٤- الاعتزاز بالكلمة، وسلطانها لا سيما الشعر.

٥- الأمية: وهذا أدعى للانبهار بالعلم والحكمة الذي سيتعلمونه من رسول الله ﷺ ولو كانوا أهل علم لاستكبروا واستنكفوا كما حصل من أهل الكتابة.

ثالثا: الأسباب الأخلاقية:

كانت فيهم سمات وخصال من الخير أهلتهم لحمل راية الإسلام ومن تلك الخصال والسمات:

١- الذكاء والفطنة.

٢- أهل كرم وسخاء.

٣- أهل شجاعة ومروءة ونجدة.

٤- الوفاء بالعهد وحبهم للصراحة والوضوح والصدق.

٥- الصبر على المكاره وقوة الاحتمال، والرضا باليسير.

٦- قوة البدن وعظمة النفس.

وهذه المظاهر والسمات والأخلاقيات لا توجد عند غيرهم من الحضارات الأخرى، ولا شك أنها مهمة جداً في النظام الإسلامي ويرتكز عليها الداعي كثيراً في دعوته.

المبحث الثاني
إيجاد المعين له في الدعوة

من رعاية الله تعالى الدعوية لنبيه ﷺ أن أوجد له المعين في دعوته، وهذا مما يساعده في الثبات والصبر والانتشار الدعوي، ويمكن إبراز ملامح هذا الأمر في النقاط التالية:

أولًا: تأليف الله تعالى قلوب الصحابة ليكونوا عوناً للنبي ﷺ على دعوته:

قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾[الأنفال: ٦٢ – ٦٤].

قال ابن كثير: "جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان"(١).

ثانياً: تنوع المعينين له ﷺ:

وهم على أصناف:

الصنف الأول: أقاربه:

١ – زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها(٢):

فإن السيدة خديجة رضي الله عنها كانت من أعظم المعينين لرسول الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٨٤.

(٢) تمت الإشارة إلى الرعاية المالية لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عند الحديث عن الرعاية المالية.

ﷺ من أول يوم نزل فيه الوحي هدَّأت من روعه، ذهبت به لمن يستشيره، واسته بنفسها ومالها، وأدركت واجبها فقامت به على أكمل وجه لأن صاحب الدعوة يحتاج إلى "زوجة تدرك واجب الدعوة وأهميته، وتدرك تمامًا ما يقوم به الزوج وما يتحمله من أعباء، وما يعانيه من مشاقّ، فتقف إلى جانبه تيسر له مهمته وتعينه عليها، لا أن تقف عائقا وشوكة في طريقه"[(١)].

٢- عمه أبو طالب[(٢)]:

فقد هيأ الله تعالى لنبيه أبا طالب أحد أعمامه وهو من كبار القوم في الشرف والمكانة ظل يدافع عن النبي ﷺ إلى آخر يوم في حياته.

وانظر في هذه القصة لترى مدى الرعاية التي حظي بها رسول الله تعالى من قبل ربه على يد عمه أبي طالب، فقد ورد أن قريشاً شكت الرسول ﷺ لعمه أبي طالب فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا فأبقِ علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك، فقال رسول الله ﷺ: ((**يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه**)). فقال له عمه له: يا ابن أخي امضِ على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ثم قال أبو طالب:

---

(١) انظر: وقفات تربوية من السيرة النبوية، البلالي ص٤٠.

(٢) تم الحديث عن عم النبي أبي طالب في موضعين من هذا البحث الأول: عند مبحث رعاية النبي ﷺ حال النشأة، وعند مبحث الرعاية الأمنية في نماذج من حماية الله لنبيه.

والله لـن يصلوا إليـك بجمعهم
حـتى أوسـد في الـتراب دفينا
فامضِ لأمرك ما عليك غضاضة
أبـشر وقـر بـذاك منك عيونا
ودعـوتـني وزعمت أنـك ناصحي
فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعـرضـت دينا قـد عرفت بأنه
مـن خـير أديـان الـبريـة دينا
لـولا المـلامـة أو حـذاري سبة
لوجدتني سمحا بـذاك مبينا[1].

٣ - أصهاره (أبو بكر، عمر، عثمان، علي) رضي الله عنهم:

فمن رعاية الله تعالى لنبيه أن جعل أقرب الناس لرسول الله ﷺ ممن تربطه بهم علاقة أسرية فقد تزوج النبي ﷺ بنتي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وزوَّج عثمان أم كلثوم ورقية بنتي رسول الله وزوَّج علياً فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكانوا خير المعين وخير القريب[2]، وهذه العلاقة لها أثر في تقوية العلاقة بين النبي ﷺ وأصحابه لخدمة الدعوة والتعليم ونشر الدين.

---

(١) سيرة ابن اسحاق ١/١٥٤.

(٢) ينظر: تزويج أبا بكر عائشة للنبي ﷺ في سيرة ابن هشام، ١/ ٢٤٥ و٢/ ٦٤٤، والسيرة النبوة وأخبار الخلفاء لابن حبان ١/٢١٧ - ٢١٨، و١/٧١ و ١/ ٤٠٩.

الصنف الثاني: الأنصار:

لقد هيأ الله تعالى الأنصار لاستقبال رسول الله ﷺ وأصحابه فقام الأنصار بذلك خير قيام وظهرت تضحيات مادية ونفسية رفعت من معنويات الصحابة وزادت رسول الله ﷺ ثباتاً على ثباته[١].

ومن مواقف تيسير الله الأنصار لإعانة النبي ﷺ ما روي أنه لما اشتد على الناس البلاء أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إلى قائدي غطفان لإعطائهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه؟ أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئا تصنعه لنا؟ قال: ((**بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما**)).

فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرَى أو بيعاً. أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا !! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله ﷺ: ((**فأنت وذاك**))، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب[٢].

---

(١) ينظر: مآخات النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وصور مشرقة ونماذج إعانة الأنصار للنبي ﷺ، في سيرة ابن هشام ١/٤٧٦ وما بعدها، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٢٧، ومغازي الواقدي ١/ ٣٧٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢١٥.

وكذلك يظهر ذلك في إعانة الله نبيه بالنجاشي في الحبشة في استقبال المهاجرين وحمايتهم[١]، وإعانته بالحباب بن المنذر رضي الله عنه في بدر بمشورته للنبي ﷺ بتغيير مكان المعسكر[٢]، وإعانته بسلمان الفارسي رضي الله عنه ومشورته للنبي بحفر الخندق[٣]. وغيرها من المواقف التي كان للصحابة دور كبير في إعانة النبي ﷺ.

ثالثاً: بين الله تعالى صفات المعينين له في الدعوة وما يجب عليهم:

بين الله سبحانه وتعالى صفات من جعلهم معينين لرسول الله ﷺ في دعوته، مثنيا عليهم، ومذكرا رسول الله ﷺ بهذه النعمة، فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ قال ابن جرير: أي: "وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه"[٤].

وقال القشيري: أي: "أي معه في الرسالة.. والمعنى: حسبك الله ومن اتبعك"[٥].

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي ٢/ ٤٤٥، سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٤،

(٢) ينظر: مغازي الواقدي١/ ٥٣، سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠، والسيرة النبوية لابن حبان ١/ ١٦٦.

(٣) ينظر: مغازي الواقدي ١/ ٢١، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢١.

(٤) جامع البيان للطبري ٢٢/ ٢٦١.

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/ ١١١٧.

فقد اختار الله لصحبة نبيه قوما هم أفضل هذه الأمة فشرَّفهم بصحبته فكانوا معه: خصَّهم في الحياة الدنيوية بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وهذه نعمة عظيمة تمثلت في صحبتهم لرسول الله ﷺ يبلغون عنه ما بعثه الله به من النور والهدى .. وكانوا معه في الجهاد في سبيل الله، وهم الذين ممن قال الله فيهم: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف١٥٧]، قال ابن مسعود: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون على دينه"(١).

وتبرز صفات هؤلاء الذين مع رسول الله وأيده الله بهم بأنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾

إنهم: "﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون.

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق.

وأما معاملتهم مع الخالق فإنك ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٧٩/١، وصحّح إسناده الشيخ أحمد شاكر (رقم٣٦٠٠).

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه.

﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ أي: قد أثرت العبادة -من كثرتها وحسنها- في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم استنارت بالجلال ظواهرهم.

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا.

وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ أي: أخرج فراخه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء. ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ ذلك الزرع أي: قوي وغلظ ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ جمع ساق، ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة ﷺ، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ، ولهذا قال: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ فالصحابة ﷺ، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة"[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧٩٥.

المبحث الثالث

عرض التجارب الدعوية السابقة للاستفادة منها

أولًا: عرض التجاب السابقة:

فقد قصَّ الله تعالى لنبيه ﷺ تجارب الأنبياء السابقين له، بل إن المتأمل لسور القرآن لا يجدها تخلو من قصةٍ أو تنبيه لقصة، والهدف من كل قصة: تأهيل النبي ﷺ بكل وسائل التأهيل، وعلاج المواقف والأزمات التي كان رسول الله ﷺ يمر بها.

قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يوسف:٣].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾[طه: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[غافر: ٧٨].

وذكر الله بالهدف من ذكر قصص السابقين، فقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[هود: ١٢٠]

"أي: نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل من قبلك، وتعلم أن العاقبة لك، كما كانت لهم"[(١)].

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٦/١٤٢.

و "ليطمئن قلبك ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به"(١).

ثانياً: الأمر بالاستفادة من تجارب الأنبياء السابقين بالاقتداء والعمل والسير على هديهم:

لقد ربى الله تعالى نبيه ﷺ بالاقتداء بالأنبياء الذين قبله، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[النحل: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الانعام٩٠] فبعدما عرض الله لنبيه حال مجموعة من الرسل أمره بأن يتبع هدي هؤلاء الأنبياء جميعا أي: "بالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى"(٢).

"فخصال الكمال، وصفة الشرف، كانت مفرقة في الأنبياء بأجمعهم، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء، ويوسف كان مستجمعا لهاتين الحالتين، وموسى عليه السلام كان صاحب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٣٩٢.

(٢) جامع البيان للطبري ٥١٩/١١.

الشريعة القوية القاهرة، والمعجزات الظاهرة، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق، ويونس كان صاحب التضرع، ثم إنه تعالى لما ذكر الكل، أمر نبينا ﷺ بأن يقتدي بهم بأسرهم، فكأنه أمر بأن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم بأجمعهم، وهو معصوم عن مخالفة ما أمر به، فثبت أنه اجتمع فيه جميع ما تفرق فيهم من الكمال"[(١)].

ثالثاً: بيان سلوك وأخلاق الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ليقتدى بهم:

بين الله تعالى لنبيه أخلاق الأنبياء السابقين، وأمره أن يذكر هذا ويتذكره في طريقه الدعوي، كما قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ ﴾[مريم: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾[مريم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ ﴾[مريم: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[مريم: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾[مريم: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[ص: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾[ص: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[ص:٤٥].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٤/٤٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾[الأحقاف: ٢١].

وقد استفاد النبي ﷺ من قصص الأنبياء التي قصها الله وتأثر بها حتى قال: ((**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا**))[(١)]. فقد كان يريد رسول الله ﷺ أن يسمع أكثر ليستفيد أكثر وتستفيد أمته من بعده.

وعن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن، والحسين، يقول: ((**أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، قال: وكان أبونا إبراهيم يعوذ بها إسماعيل، وإسحاق**)) أو قال: ((**إسماعيل، ويعقوب**))[(٢)].

وغيرها من الآيات ومما ذكره الله له فأخبر عنه في سنته، كما هو مبثوث في كتب أحاديث الأنبياء من الصحاح والسنن والمسانيد[(٣)]، وما كان له ﷺ أن يعرف مثل هذه الأخبار إلا عن وحي من الله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١٢٢).

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الطب، باب ما عوذ به النبي ﷺ، وما عوذ به (٢٥٢٥) وصححه الألباني.

(٣) فقد أفرد الإمام البخاري كتابا بعنوان: [أحاديث الأنبياء] وقد ذكر فيه ٥٧ بابا ذكر فيها أحديث عن رسول الله ﷺ في قصص الأنبياء ومواقف من حياتهم وحياة أتباعهم. وكتب السنة الأخرى فيها أحاديث كثيرة مبثوثة في أبواب كتبهم خصوصا في أبواب المناقب والتفسير.. ولكن لم أقف على من أفرد كتابا خاصا لأحاديث الأنبياء مثل البخاري، وقد أفرد ابن كثير مصنفا عن قصص الأنبياء وأسند فيها روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ.

المبحث الرابع
التهيئة ببيان شدة أمر الدعوة

الدعوة إلى الله مهمة عظيمة تحتاج لمن يحملها أن يقدر تلك المهمة، وأن يعي أن طريق الدعوة طريق فيه صعوبات وعوائق، ولذا لابد لمن سينهج هذا الطريق أن يكون على استعداد وتأهيل وتهيئة لهذا الأمر، وقد حظي النبي ﷺ برعاية ربانية في تهيئته لأمر الدعوة يمكن بيانه في النقاط التالية:

أولًا: الشدة التي تعرض لها النبي ﷺ في بداية الوحي:

لقد قام جبريل عليه السلام بضغط النبي ﷺ مراراً حتى أجهده وأتعبه، وبقي رسول الله ﷺ يلقى من الوحي شدة وتعبًا وثقلاً، وكان في ذلك حكمة عظيمة لعل منها: بيان أهمية هذا الدين وعظمته وشدة الاهتمام به.

لقد كان وقْع نزول الوحي شديدًا على رسول الله ﷺ كما هو واضح من النص، بالرغم من أنه كان أشجع الناس وأقواهم قلبًا، كما دلت على ذلك الأحداث خلال ثلاث وعشرين سنة، وذلك لأن الأمر ليس مخاطبة بشر لبشر، ولكنه كان مخاطبة عظيم الملائكة وهو يحمل كلام الله تعالى، ليستقبله من اصطفاه الله جل وعلا لحمل هذا الكلام وإبلاغه لعامة البشر.

ولقد كان موقفًا رهيبًا ومسئولية عظمى، لا يقوى عليها إلا من اختاره الله تبارك وتعالى لحمل هذه الرسالة وتبليغها[1].

(١) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر للحميدي ١/ ٦٠.

ومما يصور رهبة هذا الموقف ما جاء في هذه الرواية من قول رسول الله ﷺ: ((**لقد خشيت على نفسي**)) وقول عائشة ﵂ في هذا الحديث: فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ﵂ قال: ((**زملوني زملوني**)) فزملوه حتى ذهب عنه الروع[(١)].

"إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً. فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير.. فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدّره، فقال لخديجة ﵂ وهي تدعوه أن يطمئن وينام: مضى عهد النوم يا خديجة![(٢)]! أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق"!

ثانياً: التهيئة ببيان أن أمر الدعوة مليء بالأشواك من أول يوم في الرسالة:

لقد قال ورقة للنبي ﷺ: يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: ((**أَوَ مُخرجيّ هم؟**)) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا[(٣)].

فقد بين الحديث سنة من سنن الأمم مع من يدعوهم إلى الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي برقم (٣)..

(٢) الذي يظهر أن هذا ليس بحديث وإنما هو من كلام سيد ﵂ تخيل فيه حالة رسول الله ﷺ، يقصد: كأن لسان حاله يقول: (مضى عهد النوم يا خديجة) يقول د. علوي السقاف في تخريج أحاديث في ظلال القرآن لسيد قطب: لم أجده بعد بحث طويل، والأقرب عندي أنه ليس بحديث ص٤٨٣.

(٣) تقدم تخريجه.

عز وجل وهي التكذيب والإخراج، كما قال تعالى عن قوم لوط: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأعراف٨٢].

وكما قال قوم شعيب: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأعراف: ٨٨].

وقال تعالى عن الأنبياء جميعاً: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[إبراهيم ١٣].

ثالثاً: التنبيه ببيان شدة القول الذي سينزل عليه:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[المزمل:٥].

وصف القرآن بأنه قول ثقيل: "لما فيه من التكاليف الشاقة من جهة حملها وتحميلها للمدعوين لأنها تضاد الطبع وتخالف النفس، ومن جهة لفظه لامتلائه بالمعاني فلا يفهمه المتأمل ويستخرج ما فيه من الجواهر إلا بمزيد فكر وتصفية سر وتجريد نظر"(١).

فالقول الثقيل "هو القرآن العظيم فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول ﷺ فإنه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة"(٢).

---

(١) نظم الدرر للبقاعي٨/ ٢٠٦.

(٢) روح المعاني للألوسي ١١٦/١٥.

"والقرآن في مبناه ليس ثقيلاً فهو ميسر للذكر. ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل، وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل، وإن الاتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله ﷺ لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل، وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل".

المبحث الخامس
تعليم الله تعالى لنبيه ﷺ مهامه ووظائفه وقدراته

بين الله تعالى لنبيه ﷺ حدود رسالته التي أرسله بها، كي يكون على وعي تام لأمر الرسالة فلا يجاوز مهامه- وحاشاه ذلك- ولا يحمل نفسه فوق طاقتها في هداية الناس.

ولإبراز هذا الجانب، نتطرق للنقاط التالية:

المطلب الأول
تعليم النبي مهامه ووظائفه

جمع الله لنبيه ﷺ مهامه ووظائفه في عدد من آيات القرآن ومن ذلك:

أولا: مهام النبي ووظائفه من خلال آية سورة الأحزاب:

وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب٤٥- ٤٦]. وتفصيلها على النحو التالية:

١- أنه نبي رسول:

أي: إنه نبي ورسول من عند الله، يبلغ رسالة الله للناس جميعا إلى يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب٤٠] ونداء النبي عليه الصلاة والسلام بوصف النبوة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف وتعظيم له، وإعلام بمهمة ومقتضيات الإرسال، وهي البلاغ المبين ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨]. وهذه أعظم وأشرف وظيفة.

٢- أنه شاهد:

قال تعالى: ﴿شَٰهِدًا﴾ أي: "شاهدٌ لله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وشاهدٌ على أمته يوم القيامة وشاهد على الأمم قبله"(١)، وقال السعدي: "لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدا على المقالات والمسائل، حقها وباطلها، وشاهدا لله تعالى بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه"(٢).

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء ٤١]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة ١٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩].

٣- أنه مبشر:

يبشر قومه بدين الله وشرعه، الذي به النجاة والفلاح لمن تمسك به، وقام به مستقيماً عليه، ومخلصا له، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾، "وأشار إلى المبالغة في البشارة بالتضعيف لما لها من حسن الأثر في إقبال المدعو وللتضعيف من الدلالة على كثرة الفعل والمفعول بشارة بكثرة التابع"(٣).

"وقدمت البِشارة على النِذارة لأن النبي ﷺ- غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٣٩بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٧٩٢.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٦/١١٦.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢/٥٣.

٤- أنه منذر:

قال تعالى: ﴿وَنَذِيرًا﴾: فالنبي عليهم الصلاة والسلام يخبر قومه محذراً لهم وعيد الله ليتمكنوا من الهرب منه إلى حيث البشرى ووعد الله وثوابه لمن استجاب للنذارة.

ونذير لأولئك الذين لا يؤمنون بالله، ولا يأتمرون بأمر رسول الله ﷺ، ينذرهم العذاب الأليم الذي جعله الله لهم ولأمثالهم، ولكن هذا العذاب لن يأخذهم الله به إلا إذا أقام عليهم الحجة، وتلك الحجة هي إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾[السجدة٣]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾[الشورى٧].

٥- داعياً إلى الله:

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾: "أرسله الله تعالى يدعو الخلق إلى ربهم، ويشوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها"[(١)].

"فهو لا يدعو إلى دنيا، ولا إلى مجد ولا إلى عزةٍ قوميةٍ، ولا إلى عصبيةٍ جاهليةٍ، ولا إلى مغنمٍ، ولا إلى سلطانٍ أو جاهٍ، ولكن داعيا إلى الله. في طريق واحد يصل إلى الله﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: فما هو بمبتدع، ولا بقائل من عنده شيء، وإنما هو إذن الله له وأمره لا يتعداه".

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦١٥.

٦- يزيل الظلمات ويبين طريق الهداية:

قال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ و"ذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها، حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالا إلى الصراط المستقيم.

فأصبح أهل الاستقامة، قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة"[(١)].

فهو "يجلو الظلمات، ويكشف الشبهات، وينير الطريق، جاء بالتصور الواضح البين النير لهذا الوجود، ولعلاقة الوجود بالخالق، ولمكان الكائن الإنساني من هذا الوجود وخالقه، وللقيم التي يقوم عليها الوجود كله في قول فصل لا شبهة فيه ولا غموض. وفي أسلوب يخاطب الفطرة خطابا مباشرا وينفذ إليها من أقرب السبل وأوسع الأبواب وأعمق المسالك والدروب!".

ثانياً: مهام النبي ووظائفه في آيات من سورة الأعراف:

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧]. وتفصيلها:

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦٦٧.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. "دلّت الْآيَة إِلَّا على أَنه أَمرهم بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي تعرفه الْعُقُول وتقر بحسنه الْفطر فَأَمرهمْ بِمَا هُوَ مَعْرُوف فِي نَفسه عِنْد كل عقل سليم ونهاهم عَمَّا هُوَ مُنكر فِي الطباع والعقول بِحَيْثُ إِذا عرض على الْعُقُول السليمة أنكرته أَشد الْإِنْكَار كَمَا أَن مَا أَمر بِهِ إِذا عرض على الْعقل السَّلِيم قبله أعظم قبُول وَشهد بحسنه، قَالَ بعض الْأَعْرَاب وَقد سُئِلَ بِمَ عرفت أَنه رَسُول الله؟ فَقَالَ: مَا أَمر بِشَيْء فَقَالَ الْعقل ليته ينْهَى عَنهُ وَلَا نهى عَن شَيْء فَقَالَ ليته أَمر بِهِ"[(١)].

٨- إحلال الطيبات، وتحريم الخبائث:

قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. "فقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، وذلك ما كانت الجاهلية تحرِّمه من البحائر والسَّوائب والوصائل والحوامي ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾، وذلك لحم الخنزير والرِّبا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله"[(٢)].

قال الرازي: "الواجب أن يكون المراد من الطيبات الأشياء المستطابة بحسب الطبع وذلك لأن تناولها يفيد اللذة، والخبائث: كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس لأن تناوله سببا للألم، والأصل في المضار الحرمة"[(٣)].

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٦٨.

(٢) جامع البيان للطبري ١٣/ ١٦٥.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٥/ ٣٨١ مختصرا.

٩- التيسير والتخفيف:

قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قال الجشمي: "تدل الآية على أن شريعته ﷺ أسهل الشرائع، وأنه وضع عن أمته كل ثقل كان في الأمم الماضية. وذلك نعمة عظيمة على هذه الأمة"(١).

ثالثا: وظائف النبي ﷺ من خلال آيات من سورة آل عمران:

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران ١٦٤] وتفصيل ذلك:

١٠- رسولا من أنفسهم:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ "فنبه سبحانه على فضائل رسول الله صلى الله عليهم وسلم التي من أعظمها كونه من جنسهم، يميل إليهم ويرحمهم ويعطف عليهم، فيألفونه فيعلمهم، وذلك ليستمسكوا بغرزه، ولا يلتفتوا لحظة عن لزوم هديه"(٢).

وكذلك فيه "التنبيه على معرفتهم بنسبه، وشرفه، وعفته، وصدقه، بل لم يكذب قط، فمن لم يكذب على الناس أفيكذب على الله؟"(٣).

١١- تلاوة القرآن:

قال تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ "والتلاوة: هي القراءة المتتابعة المرتلة التي يكون بعضها تلو بعض"(٤).

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٢٠٥.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٣/ ١٦٥.

(٣) من مجموعة ليدبروا آياته، وعزوه لابن رجب ولم أقف عليه.

(٤) تفسير الوسيط للطنطاوي ١/ ٧٩٠.

قال ابن عاشور: "تلاوة الرسول ﷺ لا تكون إلا تلاوة تبليغ لما أُوحي به إليه"(١). قال ابن عادل: "ومعنى تلاوته إيّاها عليهم أنه كان يذكرهم بها"(٢).

وقد بين الله تعالى أنه لن ولم يهلك قرية إلا إذا جاءها رسول يتلو عليها آيات الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾[القصص: ٥٩]. وهذه التلاوة المقصود منها التعريف بدين الله تعالى، قال ابن عادل: "أي: يؤدّي ويبلِّغ"(٣).

وبين الله تعالى في القرآن على لسان رسوله أن التلاوة هي من وظائف النبي ﷺ، فمن سمع تلك التلاوة عرف الإسلام؛ فهو بعد ذلك إما مهتدٍ وإما ضال، قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [النمل: ٩٢]. أي: "وأمرني أن أتلو القرآن على مسامعكم، لأنه هو معجزتي الدالة على صدقي"(٤). وقال ابن كثير: "أي: على الناس أبلغهم إياه"(٥).

قال النسفي: "﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ لأُعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/١٥٣.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٢/٤٩٣.

(٣) المصدر السابق ١٥/٢٧٧

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٢/٤٩٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٢١٨.

(٦) مدارك التنزيل للنسفي ٣/٢٢٥.

١٢ - التزكية:

قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾. "وهي أول أمر يحصل منه صفة يتلبس بها المؤمنون وهي من قبيل التخلية المقدمة على التحلية لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح"(١).

"ثني بالتزكية لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك ، وما يعْلق به من مساوىء الأعمال والطباع"(٢).

فوظيفة النبي ﷺ هي أن "يطهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة، فترتقي بصفائها ، ولطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه أن ترتد على أدبارها وتحرف كتابها كما فعل من تقدمها"(٣).

١٣ - تعليم الكتاب والحكمة:

قال تعالى:﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

فقوله: " ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾. إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب -هنا- الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ ﴾، هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة.

فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين"(٤).

---

(١) روح المعاني للألوسي ٤/ ١١٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨/ ٢٠٩.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٤٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص١٥٥.

المطلب الثاني
تكليف النبي بالبلاغ، وليس عليه هدايتهم

قال تعالى: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت: ١٨].

قيل البلاغ هو: "إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الإفهام"(١)، قال الرازي: "البلاغ هو ذكر المسائل، والإبانة هي إقامة البرهان عليها"(٢).

قال شيخ الإسلام: "وهو ﷺ قد بلغ البلاغ المبين قد بلغ الرسالة وأشهد الله على أمته أنه بلغهم كما جعل في حجة الوداع يقول: ((**ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم فيرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول: اللهم اشهد**)) رواه مسلم في صحيحه"(٣).

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[آل عمران: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[الشورى: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾[النحل: ٨٢].

---

(١) روح البيان – تفسير حقي ١٠/٢٣٩.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/٤١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤/٣٣٧.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾[النمل: ٨٠- ٨١]. وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص: ٥٦].وقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨]. وقال:﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ﴾[البقرة: ٢٧٢].

هذه الآيات وغيرها "يخبر تعالى نبيه بأنك يا محمد لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها.

وأما إثبات الهداية للرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[الشورى: ٥٢] فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا"[(١)].

"فهذه القلوب من صنعه؛ ولا يحكمها غيره، ولا يصرفها سواه، ولا سلطان لأحد عليها إلا الله. وما على الرسول إلا البلاغ. فأما الهدى فهو بيد الله يعطيه من يشاء، ممن يعلم أنه يستحق الهدى،

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦٢٠.

ويسعى إليه. وإخراج هذا الأمر من اختصاص البشر يقرر الحقيقة التي لا بد أن تستقر في حس المسلم ليتوجه في طلب الهدى إلى الله وحده، وليتلقى دلائل الهدى من الله وحده.. ثم هي تفسح في احتمال صاحب الدعوة لعناد الضالين، فلا يضيق صدره بهم وهو يدعوهم؛ ويعطف عليهم، ويرتقب إذن الله لقلوبهم في الهدي، وتوفيقهم إليه بمعرفته حين يريد.

فقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٧٢] أي: فلتفسح لهم صدرك، ولتفض عليهم سماحتك، ولتبذل لهم الخير والعون ما احتاجوا إليه منك. وأمرهم إلى الله. وجزاء المنفق عند الله".

المبحث السادس

إرشاد النبي لوسائل وأساليب الدعوة

كما أرسل الله نبيه محمد ﷺ بالمنهج الحق وأمره بالدعوة، أرشده كذلك للوسائل والأساليب التي يبلغ بها دعوة الله تعالى، ويمكن إجمال بعضها في النقاط التالية:

١- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى:

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥].

"أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين.

فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل.

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"[(١)].

٢- الأمر بدعوة الأقارب:

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤].

فهذا أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يبتدئ دعوته بدعوة أقاربه، ونفذ رسول الله الأمر كما أمره ربه جلَّ وعلا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ﴾[الشعراء: ٢١٤]، صعد رسول الله ﷺ على الصفا فجعل ينادي: ((**يا بني فهر يا بني عدي يا بني فلان يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، صدقتموني ؟**)) **قالوا: نعم. قال:** ((**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**))"[(٢)].

ومن هنا "تبين كيف تلقى رسول الله- ﷺ- الأمر، وكيف أبلغه لعشيرته الأقربين، ونفض يده من أمرهم، ووكلهم إلى ربهم في أمر الآخرة، وبين لهم أن قرابتهم له لا تنفعهم شيئا إذا لم ينفعهم عملهم، وأنه لا يملك لهم من الله شيئا، وهو رسول الله".

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الشعراء (٤٤٩٢).

٣- الأمر بالصدع بأوامر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الحجر: ٩٤ - ٩٩].

"أمر الله رسوله أن لا يبالي بهم ولا بغيرهم وأن يصدع بما أمر الله ويعلن بذلك لكل أحد ولا يعوقنه عن أمره عائق ولا تصده أقوال المتهوكين"(١).

فهنا: "يتجه بالخطاب إلى الرسول- ﷺ- أن يمضي في طريقه، يجهر بما أمره الله أن يبلغه. ويسمي هذا الجهر صدعا- أي شقا- دلالة على القوة والنفاذ. لا يقعده عن الجهر والمضي شرك مشرك فسوف يعلم المشركون عاقبة أمرهم. ولا استهزاء مستهزئ فقد كفاه الله شر المستهزئين".

٤- أمر الله له بالتذكير متى نفعت التذكرة:

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾[الأعلى: ٩]. أي: "ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه. ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًا عنها"(٢).

"فذكر حيثما وجدت فرصة للتذكير، ومنفذا للقلوب، ووسيلة للبلاغ. ذكر فالذكرى تنفع دائما، ولن تعدم من ينتفع بها كثيرا كان أو قليلا. ولن يخلو جيل ولن تخلو أرض ممن يستمع وينتفع، مهما فسد الناس وقست القلوب وران عليها الحجاب..".

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٣٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٠.

٥- الأمر بالدعوة على بصيرة:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾[يوسف: ١٠٨].أي: "قل، يا محمد، هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾"[(١)]، "أي: مع حجة واضحة، غير عمياء"[(٢)]. وقال ابن سعدي: "على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية"[(٣)].

٦- المسالمة:

قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنفال: ٦١].

"يقول تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ ﴾ أي: الكفار المحاربون، أي: مالوا ﴿ لِلسَّلْمِ ﴾ أي: الصلح وترك القتال. ﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلا على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة. منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماما لقواكم، واستعدادا منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضا، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من

(١) جامع البيان للطبري ١٦/٢٩١.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٦/٢٣٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٠٦.

له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عونا للمسلمين على الكافرين"(١).

٧- الجهاد والتذكير بالقرآن:

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[الفرقان: ٥٢].

"﴿ وَجَٰهِدْهُم ﴾ بالقرآن ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق وقمع الباطل إلا بذلته ولو رأيت منهم من التكذيب والجراءة ما رأيت فابذل جهدك واستفرغ وسعك، ولا تيأس من هدايتهم ولا تترك إبلاغهم لأهوائهم"(٢).

"جهادا كبيرا لا يخالطه فتور، بأن تلزمهم بالحجج والآيات، وتدعوهم إلى النظر في سائر الآيات، لتتزلزل عقائدهم، وتسمج في أعينهم عوائدهم"(٣).

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[ق: ٤٥] "فذكر بما في القرآن واتل عليهم القرآن يحصل لهم بسبب ما فيه المنفعة"(٤)، "فالقرآن يذكر به جميع الناس، ولكن لا ينتفع به إلا من يخاف الله عز وجل"(٥).

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٤٣٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٣٢.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ١٦٢.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٢٨/ ١٦٥.

(٥) تفسير سورة ق لابن عثيمين ص١١٣.

٨- التدرج في الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء: ١٠٦]. أي: "لتقرأه على الناس على تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك"(١)، وقال القاسمي: "أي على مهل وتؤدة وتثبت، فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم"(٢).

فقد أمر رسول الله ﷺ بالتدرج في تعليم الناس القرآن والأحكام وهذا منهج رباني نبوي في التعلم والتعليم والدعوة.

٩- الدعوة والتعليم بالقصص:

قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: ١٧٦] "يقول الله لنبيه محمد ﷺ: فاقصص، يا محمد، هذا القصص، من أخبارِ الأمم وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات"(٣).

فالقصة كذلك وسيلة وأسلوب دعوي مهم جدا في الدعوة، ومن أهميته أن الله أمر به نبيه أمراً مباشراً كما في الآية.

---

(١) جامع البيان للطبري ١٥/ ٥٧٥.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٥٢٠.

(٣) جامع البيان للطبري ١٣/ ٢٧٤.

١٠- الدعوة بضرب الأمثال:

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾[الكهف: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[الكهف٤٥].

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس١٣].

"ضرب المثل: إيراده ليمتثل به، ويتصوّر ما أراد المتكلم بيانه للمخاطب"(١).

وإرشاد الله لنبيه لضرب الأمثال له أهميته، يقول ابن القيم: "ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس"(٢).

ويقول الإمام الألوسي: "فلضرب المثل شأن لا يخفى ونور لا يطفى يرفع الأستار عن وجوه الحقائق ويميط اللثام عن محيا الدقائق ويبرز المتخيل في معرض اليقين ويجعل الغائب كأنه شاهد"(٣).

ولذا يقول الله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ

(١) محاسن التأويل للقاسمي ١/ ٢٧٨.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ٩.

(٣) روح المعاني للألوسي ١/ ٦٣.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت٤٣] أي: "لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها"[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٣١.

المبحث السابع
تنبيه النبي ﷺ عند الخطأ

قد عاتب الله تعالى نبيه ﷺ عدد من المرات:

أولًا: معاتبته عند تحريمه على نفسه العسل من أجل زوجاته:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ ۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ ۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾[التحريم: ١ – ٢]. و"الاستفهام مستعمل في معنى النفي، أي: لا يوجد ما يدعو إلى أن تُحرم على نفسك ما أحل الله لك، وهذا يومىء إلى ما يراعي من الغيرة وما لا يراعي"(١).

"يتبيّن من عتاب الله عز وجل لنبيه في أول سورة التحريم عظيمُ مكانة الرسول ﷺ عند ربه، ففي كل مقام هَضم الرسول ﷺ حظّ نفسه إشفاقاً على مَن حوله، أو تواضعاً أو إيثاراً لرغبات غيره، تولى الله الدفاع عنه، وعلّمهم الأدب اللائق والتصرف الذي يتناسب مع مقام النبوة، وهذا فيه بيان لعظيم مكانة النبي ﷺ عند ربه"(٢).

"فما يجوز أن يحرم المؤمن على نفسه ما أحله الله له من متاع. والرسول ﷺ لم يكن حرم العسل أو مارية بمعنى التحريم الشرعي إنما كان قد قرر حرمان نفسه. فجاء هذا العتاب يوحي بأن ما جعله الله حلالا فلا يجوز حرمان النفس منه عمدا وقصدا إرضاء لأحد..".

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٤٦/٢٨.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن للدكتور مصطفى مسلم ٢٤٦/٨.

ثانياً: معاتبته عند إعراضه عن الأعمى:

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١ - ١٠].

فإن "الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصُفّة، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيراً أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعاً في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضاً نوعاً من المصلحة"(١).

"فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره"(٢).

"فكان النبي عليه الصلاة والسلام في عبوسه وتوليه يلاحظ هذين الأمرين. الأمر الأول: الرجاء في إسلام هؤلاء العظماء. والأمر الثاني: ألا يزدروا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كونه يلتفت إلى هذا الرجل الأعمى الذي هو محتقر عندهم، ولا شك أن هذا اجتهاد من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس احتقاراً لابن أم مكتوم؛ لأننا نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلّم لا يهمه إلا أن تنتشر دعوة الحق بين عباد الله، وأن الناس عنده سواء بل من كان أشد إقبالاً على الإسلام فهو أحب إليه"(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/٢١٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٩١٢.

(٣) تفسير جزء النبأ لابن عثيمين ص ٦٠.

ثالثاً: معاتبته على أنه كاد أن يجعل لكبار القوم مجلساً خاصاً بهم:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام: ٥٢].

أي: "لا تطرد عنك؛ وعن مجالستك؛ أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم!! من الملازمين لدعاء ربهم، دعاء العبادة بالذكر والصلاة ونحوها، ودعاء المسألة، في أول النهار وآخره، وهم قاصدون بذلك وجه الله، ليس لهم من الأغراض سوى ذلك الغرض الجليل، فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم، بل مستحقون لموالاتهم ومحبتهم، وإدنائهم، وتقريبهم، لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، والأعزاء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أذلاء.

وقوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ أي: كلٌّ له حسابه، وله عمله الحسن، وعمله القبيح. ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وقد امتثل ﷺ هذا الأمر، أشد امتثال، فكان إذا جالس الفقراء من المؤمنين صبر نفسَه معهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وحسن خلقَه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضي الله عنهم"[(١)].

رابعاً: معاتبته عندما دعا على قريش بسبب ما فعلوه في المسلمين في أحد:

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٢٨].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢٥٨).

فعن أنس بن مالك ﷺ: قال النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رُبَاعيته، وشُجَّ، فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول: ((**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله!!**)) فأنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[(١)].

أي: "ليس إليك، يا محمد، من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري، وتنتهيَ فيهم إلى طاعتي، وإنما أمرهم إليّ والقضاء فيهم بيدي دون غيري، أقضي فيهم وأحكمُ بالذي أشاء، من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري، أو العذاب إما في عاجل الدنيا بالقتل والنّقَم المبيرة، وإما في آجل الآخرة بما أعددتُ لأهل الكفر بي"[(٢)].

---

(١) أخرجه المسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (١٧٩١)، وأخرجه البخاري بنحوه تعليقا كتاب المغازي باب {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}.

(٢) جامع البيان للطبري ٧/ ١٩٤.

المبحث الثامن
تعليم النبي ﷺ التخاطب مع أصناف المدعوين

النبي صلى الله عليه سلم بعثه الله تعالى للعالمين، يخاطب كل فئات المجتمع، ولذا فقد أرشده الله تعالى ببعض التوجيهات التي تضبط منهجه في التعامل مع تلك الفئات المختلفة.

وهنا سنحاول إبراز هذا الجانب المهم من الرعاية في المطالب التالية:

المطلب الأول
التعامل مع المؤمنين

المؤمنون: وهم الذين تلقوا أوامر الله ورسوله بالقبول والتصديق والعمل، وتكون معاملتهم بالآتي:

١- تبشيرهم:

فقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بتبشير المؤمنين من أمته لتثبيتهم على الحق والدين، فقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[البقرة٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾[الأحزاب: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧ ﴾[الحج: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الحج: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[يونس: ٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٥].

٢- لين الجانب لهم:

وقال تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٥].

"بين الله لرسوله كيف يعامل المؤمنين الذين يستجيبون لدعوة الله على يديه، إنه اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة. وكذلك كان رسول الله- ﷺ- مع المؤمنين طوال حياته. فقد كان خلقه القرآن. وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم".

٣- العفو عنهم والاستغفار لهم:

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

"أي: فبرحمة الله، يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك ﴿ لِنتَ لَهُمْ ﴾، لتبَّاعك وأصحابك، فسُهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتَّبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم"[(١)].

(١) جامع البيان للطبري ٧/٣٤١.

"فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!

أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله.

ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه ﷺ، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان"[(١)].

٤- بيان ولاية النبي ﷺ للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]. فالنبي ﷺ أولى **بالحكم** بين الناس قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء ٦٥].

والنبي ﷺ أولى **بالحب**، ولهذا وجب أن يكون حب النبي ﷺ مقدماً على كل شيء، فقد قال رسول الله ﷺ **((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين))**[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص١٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان(١٥-١٤). ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين (٤٤).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: ((**لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك**)) فقال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي. فقال: ((**الآن يا عمر**))[(١)].

بل قد جعل الله محبته واتباعه ﷺ شرطاً لتحقيق محبة الله الخالق الرازق سبحانه، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران ٣١].

هذا من جانب **ومن جانب آخر** "لنقف برهة أمام هذه الآية الكريمة فنستجلي من روائع الجمال اللفظي وبدائع التفضيل المعنوي ثم نقول ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء:

* وصف القرآن الكريم محمداً ﷺ **بالنبي !!** فهل تذوقت ما في هذا اللفظ الكريم من معاني التعظيم والتكريم والشرف العالي والمنحة الخاصة والمقام السامي الرفيع الذي نبا عن تقدير الناس وسما عن مقاييسهم وموازينهم.
* وصف القرآن الاستحقاق بالولاية بكلمة ((**أولى**)) مكان كلمة **أحق** لما في الأولى من الشعور بأن ذلك الاستحقاق إنما كان عن الحب والولاء والرغبة والرجاء لا عن خوف وإرهاب وإكراه.
* وصف القرآن أتباع محمد ﷺ بكلمة **المؤمنين** ولم يقل **الناس أو المسلمين** لما في هذه الكلمة من الإشارة إلى أن هذه الأولوية ثمرة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٦٣٢).

التصديق ونتيجة الإيمان واليقين كما قال ﷺ ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين**))[١].

* عبر **بالأنفس** ليدخل كل ما دونها وهو كل شيء من مباهج الحياة ومظاهرها، فالأهل دون النفس، والمال دون النفس والمسكن دون النفس، والزوج دون النفس، وإنما يكون حب الإنسان لهذه العوارض بنتيجة حبه لنفسه وثمرة حرصه على إسعادها"[٢].

ومن ذلك أن بين الله تعالى له علاقة المؤمنين بزوجاته ﷺ أمهات للمؤمنين، وما الواجب لهن وعليهن قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب٦] "أي في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن، وأخواتهن بالإجماع"[٣].

٥- التبرؤ من معصية العاصين وليس من العاصين أنفسهم:

قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٥- ٢١٦].

أي: "﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم، ولا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان(١٥-١٤). ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين (٤٤).

(٢) من وحي القرآن، جمع وترتيب الدكتور: جمعه أمين (٣/٥٢-٥٣) بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٨٠.

تترك معاملتهم، بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفع احتراز وهم من يتوهم، أن قوله ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم"(١).

"فالتبرؤ إنما هو من كفرهم وذلك لا يمنع من صلتهم لأجل الرحم وإعادة النصح لهم"(٢).

المطلب الثاني
التعامل مع الكفار والمنافقين

الكفار والمنافقون: وهم الذين تلقوا أوامر الله ورسوله بالكفر والتكذيب والجحود، والاستهزاء، والسخرية حتى ولو ظهر من بعضهم الموالاة للمؤمنين وهم منافقون. وتكون معاملتهم بالآتي:

١- عدم طاعتهم:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾[الأحزاب: ١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[القلم: ١٠ – ١٥]. وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ [الإنسان: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٩٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠٣/١٩

فالله تعالى ينهى نبيه أن يطيعهم أو يسمع منهم في الذي يقولون، قال القاسمي: "لا توافقهم على أمر. ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة، وجانبهم واحترس منهم. فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين. لا يريدون إلا المضارّة والمضادّة"(١).

٢- ترك أذيتهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[الأحزاب٤٨]. "أي: اصفح وتجاوز عنهم وكِلْ أمرهم إلى الله فإن فيه كفاية لهم"(٢).

"فالأمر بترك أذاهم بالإعراض عما يؤذون به النبي ﷺ من أقوالهم، وبالكف عن الإضرار بهم، أي أن يترفع النبي ﷺ عن مؤاخذتهم على ما يصدر منهم في شأنه"(٣)، "فإن ذلك جالب لهم، وداعٍ إلى قبول الإسلام، وإلى كفٍّ كثير من أذيتهم له ولأهله"(٤).

٣- جهادهم والغلظة عليهم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[التوبة: ٧٣].

قال السعدي: "بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم، وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان، ومن كان مذعنا للإسلام بذمة أو عهد،

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٤٧/٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٩/٦.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٨/٢٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٦٨.

فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا"[١].

٤- عدم الحزن على الكفار والمنافقين الذين يرفضون الإسلام:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ ﴾[آل عمران: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ ﴾[يونس: ٦٥].

قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف٦]. وقال تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[ق: ٤٥].

فالله سبحانه يعزي رسوله ﷺ ويواسيه؛ ويهون عليه فعال القوم فقد "كان الرسول ﷺ من شدة حرصه على الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى، إلى أنه لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبينا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم فقال: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان معدوداً من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهراً وباطناً، وحاشا

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي٣٤٤.

لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان -إذا خالطت بشاشته القلوب- لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبغ به بدلا"[١].

٥- واجب النبي ﷺ أمام طغيان الطاغين:

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾[العلق: ٩ - ١٩].

وذلك من خلال توجيهين:

التوجيه الأول: عدم طاعة الطغاة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ يعني: "يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها"[٢]، "وهذا عامٌ لكل ناه عن الخير ومنهيٌ عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة وعبث به وآذاه"[٣].

التوجيه الثاني: التقرب لله تعالى بالطاعة:

قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾: أي: "وصلِّ حيث شئت ولا تبال؛ فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس"[٤].

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**))[٥].

---

(١) المصدر السابق ٢٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٣٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٩٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٣٩.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٢).

٦- التحذير من استخفاف الكفار به:

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[الروم: ٦٠].

"أي: ولا يستجهلنك، معناه: لا يحملنّك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي، وقيل: لا يستخفن رأيك وحلمك الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ بالبعث والحساب"(١). وقيل: "أي: لا تفعل معهم فعلًا يطمعهم في أن تميل إليهم فيه"(٢).

وقيل: "فاصبر أيها الرسول على ما ينالك مِن أذى قومك وتكذيبهم لك، إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين وثواب حق لا شك فيه، ولا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء"(٣).

٧- عدم الانشغال بأهل الباطل عن العبادة والدعوة:

قال تعالى: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾[المزمل ١١]

أي: "أي دعني وإياهم، وكل أمرهم إليّ، فإن بي غنية عنك في الانتقام منهم"(٤).

فهو توجيه من الله لنبيه إلى عون الله تعالى بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة له "وأن من اشتغل بعدوه وكله الله إلى نفسه، فكان ذلك كالمانع من أخذ الله له، فإذا توكل عليه فقد أزال ذلك المانع"(٥).

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ٣/٥٠٣.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٦/٦٤٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٢٤٣.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ٩/٣٤٢.

(٥) نظم الدرر للبقاعي ٢١/٢٠.

الفصل السادس
رعاية الدفاع والنصرة

وذلك من خلال أربع مباحث:

المبحث الأول: رعاية النبي ﷺ بتربية الأمة على الأدب معه.

المبحث الثاني: التحذير من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ

المبحث الثالث: توعد الذين يؤذون الرسول ﷺ والرد عليهم:

المطلب الأول: توعد من يؤذي رسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: رد أذية الكفار واتهامهم للنبي ﷺ.

المبحث الرابع: نماذج من الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان الطاغين:

المطلب الأول: الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي جهل.

المطلب الثاني: الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي لهب.

المبحث الأول
رعاية النبي ﷺ بتربية الأمة على الأدب معه

اعتنى الله تعالى بنبيه محمد ﷺ بأن علم صحابته بل والأمة من بعده الأدب مع رسوله الله ﷺ، ومن الآداب التي أمرنا أن نلتزم بها[١]:

١- الحرص على اتباع النبي ﷺ ولزوم سنته:

لأن ذلك برهان على صدق محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران ٣١]. قال ابن القيم: "فجعل سبحانه متابعة رسوله سببا لمحبتهم له وكون العبد محبوبا لله أعلى من كونه محبا لله فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله فالطاعة للمحبوب عنوان محبته"[٢].

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه تلك، حتى يتبع الشرع المحمديّ في جميع أقواله"[٣].

٢- التأدب مع رسول الله ﷺ في الاستماع والإنصات:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات١].

---

(١) تم الحديث بشيء من التفصيل لهذا الجانب في بحث موضوعات سورة الحجرات للمؤلف.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ١/٤٩٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٢.

ومن معاني عدم التقديم بين يدي الله ورسوله، عندما يتكلم رسول الله ﷺ ينصت لحديثه بأدب وحضور ذهن من غير قطع لكلامه ﷺ. وذكر بعض العلماء أن الاستماع إلى حديث رسول الله ﷺ بعد موته بأدب من التأدب مع رسول الله ﷺ، قال القاضي أبو بكر بن العربي "حرمة النبي ميتاً كحرمته حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرِئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به"[1].

٣- الصبر على التزام الأدب مع رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات٤-٥].

حيث إن الرسول ﷺعند أهله وسيخرج بعد فترة للصلاة أو غيرها، فعليهم أن يصبروا مراعاة للأدب مع الرسول ﷺ وتوقيرا له بعدم المشقة عليه.

"فهذه الآية تعليم للأمة أن تتخلق بخلق الصبر والأناة والرفق والحلم، وألا تشق على الرؤساء في الحديث واللقاء، فإن الرئيس كثير المشاغل عظيم المهام، لا يتسع وقته لها جميعاً، ولا يمكن أن يكون وقته موزعاً وفق أهواء الناس ومطالبهم، فعليهم

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٧/١٦.

أن يَدَعُوا له وقته ليصرفه فيما يراه خيراً لجماعته، ولا يتأولون من ذلك ولا يظنون به الظنون فإنما تلك من ضرورات تنظيم الأعمال، ولا بد من النزول على حكمها حتى لا تفوت المصالح باضطراب الأوقات وخلل تنظيمها"[١].

٤- محبة الرسول ﷺ:

وهذا من أعظم الأدب مع رسول الله ﷺ حيث إنه المبلغ عن الله تعالى فهو أعظم الخلق إحسانا إلى المرء، فهو الذي أرشدنا إلى الصراط المستقيم، طريق الجنة، وقد بذل كل جهده في ذلك، وكل مسلم في هذا العالم إنما هو ثمرة لدعوة محمد ﷺ، ولذا يجب أن تكون محبته أعظم عند المسلم من أي شيء قال عليه الصلاة والسلام: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.....**))[٢]، وقال ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**))[٣].

٥- كثرة الصلاة على النبي ﷺ:

وذلك ينبع من معرفة المؤمن بوجوب الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره وسائر مواضعها وذلك تأدباً مع الرسول ﷺ ولقوله تعالى:

(١) من وحي القرآن ٣/٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (٢١). ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول من الإيمان (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله أكثر من الولد والوالد والناس أجمعين (٤٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب ٥٦].

"فصلاة الله على النبي ﷺ ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء"(١)، وقال غير واحد من أهل العلم "صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار"(٢).

وهذا من رفع ذكر النبي ﷺ حيث قال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ "أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله عز وجل- غالباً- إلا ويذكر معه رسوله ﷺ، كما في شهادة الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ"(٣).

"ورفع الذكر نعمة على الرسول ﷺ، وكذلك جميلٌ حسنٌ للقائمين بأمور الناس، وخمول الذكر والاسم حسن للمنفردين للعبادة"(٤).

وهنا يجدر التنبيه على مواطن الصلاة على النبي ﷺ وهي:

بعد الأذان، وفي التشهد الأخير وهي واجبة(٥)، وفي صلاة

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ٨/ ٥٣٢.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٥٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٠/٤٠٧ بتصرف.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥/٤٩٨.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير وترجيحه الوجوب وأدلة ذلك ٦/٤٦٠.

الجنازة بعد التكبيرة الثانية، في الدعاء أوله وآخره، وعند دخول المسجد والخروج منه، في يوم وليلة الجمعة، عند السلام عليه ﷺ سواء عند زيارته أو في أي مكان كان الإنسان، عند ذكره في كل وقت[١].

فعلى هذا يجب علينا أن نداوم على الصلاة على النبي ﷺ في جميع أحوالنا، وكلما ذكر سواء باللسان أو بالكتابة ونحن نقرأ أو نكتب، ولا يفتر لساننا عن الصلاة عليه على كل حال.

٦- التأدب في زيارة النبي ﷺ ودخول بيته:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾[الأحزاب٥٣].

هذه الآية فيها "حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا يصنعون ذلك في بيوته في الجاهلية، وابتداء الإسلام، حتى غار الله تعالى على هذه الأمة"[٢]، فأمرهم ألا يدخلوا بيوت النبي ﷺ بغير إذن.

---

(١) للاستزادة حول موضوع الصلاة على النبي انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٥٩. كذلك بحث حقوق النبي ﷺ وأهل بيته دراسة موضوعية من خلال سورة الحجرات للمؤلف، وكذلك كتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٥٤.

٧- استئذان النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور ٦٢].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور ٦٣]

"فإذا جعلَ مِنْ لوَازم الْإِيمان أنهمْ لَا يَذْهَبونَ مَذهبا إذَا كَانوا مَعَهُ إلا بِاسْتِئذانه فَأَوْلَى أَنْ يكون مِنْ لَوَازِمِهِ أَنْ لَا يذهبوا إِلَى قَول ولَا مَذْهَب عِلْمِي إِلَّا بَعد استِئذانه، وَإِذنه يُعرَف بِدلالة مَا جَاء به عَلَى أَنهُ أَذن فيه"(١).

فأدبهم ربهم بأنهم: "لا يستأذنون إلا وهم مضطرون فلهم من إيمانهم ومن أدبهم عاصم ألا يتخلوا عن الأمر الجامع الذي يشغل بال الجماعة، ويستدعي تجمعها له".

٨- غرس الاقتداء بالرسول في قلوب المدعوين:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب ٢١].

وهذه الآية "أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله"(٢).

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم ٣/ ٢٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٩١.

و"الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسى به، أي: يتعزى به، فيقتدى به في جميع أفعاله، ويتعزى به في جميع أحواله، فلقد شج وجهه، وكسرت رباعيته، وقتل عمه حمزة، وجاع بطنه، ولم يلف إلا صابرا محتسبا، وشاكرا راضيا ﷺ"(١).

و"هذه الآية تدل على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به"(٢).

إن "هذا القرآن لن يكون له أثره في البشرية من النذارة والإنارة إلا من خلال نماذج بشرية حية، تشتعل قلوبها بحقائقه الإيمانية؛ حتى تستنير وتتوهج، ثم تنير"(٣) ولن نجدها إلا في سير الأنباء والمرسلين وأعظمهم محمد ﷺ.

"ومعلوم أن الرسول ﷺ أسوة حسنة، وإنما جيء بكلمة ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ لتأكيد الأمر، وزيادة في الإيضاح، ودفعا لأهل الهمم، حتى يقتدوا برسولهم ﷺ فقد كان يحمل التراب، ويرابط ويقاتل، ويبدأ بنفسه قبل أن يبدأ بغيره صلوات الله وسلامه عليه"(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٨/١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٦٦١.

(٣) مجالس القرآن لفريد الأنصاري ١٦٢.

(٤) سورة الأحزاب شريط للشيخ: صالح المغامسي، نقلاً عن سلسة ليدبروا آيته.

المبحث الثاني
التحذير من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ

حذر الله تعالى من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ بعدد من التوجيهات منها:

١. عدم الإسراع بقول أو فعل قبل أن يقول فيه الله تعالى أو رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات١]

قال ابن جرير: "أي لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله، وأمر رسوله"(١).

فقد "نهى عن التقديم بين يديه فأي تقديم أبلغ من تقديم عقله على ما جاء به، قال غير واحد من السلف: ولا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر"(٢).

ففيها إشارة إلى احترام رسول الله وعدم تقديم قول أحد على قوله، وعدم إصدار الأحكام قبل معرفة قول رسول الله ﷺ فيها.

٢. عدم رفع الصوت في مجلسه سواء في الحديث معه ﷺ أو مع غيره:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾[الحجرات٢].

وسبب النهي أن رفع الصوت يدل على قلة الاحتشام وترك

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٢/٢٧٢.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ٤/١٧٧.

الاحترام وهو يؤدي إلى ذهاب ثواب الأعمال الصالحة وهم لا يشعرون بذلك، حتى أنه قد كره بعض أهل العلم رفع الصوت عند قبره ﷺ كما ذكر ذلك الإمام القرطبي رحمه الله[١].

وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد رسول الله ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء، فقال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان صوتكما في مسجد رسول الله[٢].

٣. لا يخاطب الرسول ﷺ باسمه وكنيته كما يخاطب الناس بعضهم بعضاً:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾[المجادلة: ٩].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾[الحجرات٢]. وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور ٦٣] عن ابن عباس قال: (كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم عن ذلك إعظاما لنبيه، فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله)[٣]، فأمرهم أن يشرفوه ويوقروه. فيقولوا يا رسول الله في رفق ولين[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد (٤٧٠).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم٧/ ٢٦٥٤، الدر المنثور للسيوطي ١١/ ١٢٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٣٢٢.

"والظاهر استمرار ذلك الأدب بعد وفاته إلى الآن"(١)، "وهذه لفتة ضرورية، فلا بد للمربي من وقار، ولا بد للقائد من هيبة، وفرق بين أن يكون هو متواضعا لينا هينا، وأن ينسوا هم أنه مربيهم فيدعونه دعاء بعضهم لبعض، فيجب أن تبقى للمربي منزلة في نفوس من يربيهم يرتفع بها عليهم في قرارة شعورهم، ويستحيون هم أن يتجاوزوا معها حدود التبجيل والتوقير".

٤. التحذير من مشاقة الرسول والكفر به:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء: ١١٥].

"أي: ومن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاء به ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية، ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله.

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف٥]، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾[الأنعام١١٠].

ويدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهمِّ بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات

(١) روح المعاني للألوسي ١٨/ ٢٢٥.

الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من السوء، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف٢٤] أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل"[١].

٥. تحذير الله عباده من مسلك الذين يؤذون الرسل:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب٦٩] فينبه الله تعالى عباده المؤمنين بعد ما وصف لهم حال المنافقين، والمرجفين وعاقبة أمرهم، الذين آذوا الله ورسوله والمؤمنين، ينبههم أن لا يكونوا مثل هؤلاء المرجفين المؤذين الموجودين في كل مكان وزمان، وذلك بنهيهم عن أن يتشبهوا ببني إسرائيل الذين آذوا موسى عليه السلام فبرأه الله مما قالوا من الأذية فيه.

٦. تعظيم أمر أذية الرسول ﷺ في أزواجه عند الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب٥٣].

"إشارة إلى ما ذكر من إيذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح أزواجه من بعده، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الشر والفساد ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حكمه عز وجل ﴿عَظِيمًا﴾ أي أمراً عظيماً وخطباً هائلاً لا يقادر قدره، وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله ﷺ وإيجاب حرمته حياً وميتاً ما لا يخفى"[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٠٢.

(٢) روح المعاني للألوسي ١٦/ ٢٠٠.

المبحث الثالث

توعد الذين يؤذون الرسول ﷺ والرد عليهم

من نصرة الله تعالى وحمايته أن توعد وحذر كل من يؤذي رسول الله ﷺ أو من يحاول أذيته، وهذا فيه حماية له ونصرة له ممن آذاه، وفيه تطمين وتسلية له ﷺ.

ويمكن إبراز هذا الجانب من الرعاية في مطلبين[(١)]:

المطلب الأول

توعد من يؤذي رسول الله ﷺ

توعد رسول الله ﷺ من يؤذي رسوله ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن رعاية وتثبيتا لنبيه ﷺ ونصرة له، ومن أمثلة ذلك:

أولًا: توعد الذين يريدون إخراج النبي بالنفي والهلاك في الأرض:

قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[التوبة: ١٣].

قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[الإسراء: ٧٦ - ٨١].

"أي: من بغضهم لمقامك بين أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من

(١) هنا سنختصر في العرض، ويكفي فقط إبراز هذين الجانبين، وللتوسع يرجع لبحث موضوعات سورة الأحزاب للباحث ففيه توسع في هذا الجانب.

الأرض، ويجلوك منها. ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة.

ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلا حتى أوقع الله بهم بـ" بدر " وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد"[(١)].

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب٦٠- ٦٢]. أي: "لنسلطنك عليهم، ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً، في المدة والأجل حتى ننفيهم عنها، فنخرجهم منها"[(٢)].

ومما يشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة ٣٣]، ولا شك أن المنافقين والمرجفين بين المؤمنين من الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤٦٤.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٨٦/١٩) مختصراً.

ثانيا: اللعن والطرد والعذاب المهين للذين يؤذون النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب ٥٧- ٦٢].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ "أي: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم الرسول، وآذاه"(١)، "وَلَعنة الدنْيَا التقْتِيل وَالجَلَاءُ، وَلَعْنَةُ الآخرَة النارُ"(٢). أي: "عذبهم الله في الدنيا بالقتل والسبي وفي الآخرة بالنار"(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦١٨ بتصرف.

(٢) النكت والعيون ٤/٤٢٣. زاد المسير ٦/٤٢٠.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٣/٤٢٠.

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ أي: "مبعدين حيث وجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر لهم قرار، يخشون أن يقتلوا، أو يحبسوا أو يعاقبوا"(١).

وهذا ليس حكما أنزله الله لرسول الله ومن يعاديه فقط، ولكنه سنة الله في الأرض في كل من سبقه من الأقوام، ولذا قال تعالى بعدها: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وهذه السنة باقية إلى قيام الساعة ومتحققة إذا توفرت أسباب تحقيقها من الإرجاف والعداء لأهل الإسلام.

ثالثا: انقطاع ذكر الكفار الذين يؤذون الرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر٣]. أي: "مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ"(٢).

"والأبتر: الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بَنُوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا !! بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد"(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٣٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٥٠٥.

المطلب الثاني

رد أذية الكفار واتهامهم للنبي ﷺ

رد الله تعالى أذية الكفار للنبي ﷺ في عدد من الموقف ومنها:

فعندما اتهموه بالشعر والكهانة رد الله عليهم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة ٤٠-٤٣] فقد "نزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد ﷺ، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمرا مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقا، وأن ما جاء به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده، وأيضا، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته"(١).

وعندما قالوا عنه أنه هو من أتى بالقرآن من عند نفسه رد الله عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٨٤.

"أي: وقال الكافرون بالله الذي أوجب لهم كفرهم أن قالوا في القرآن والرسول: إن هذا القرآن كذب كذبه محمد وإفك افتراه على الله وأعانه على ذلك قوم آخرون.

فرد الله عليهم ذلك بأن هذا مكابرة منهم وإقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول ﷺ وكمال صدقه وأمانته وبره التام وأنه لا يمكنه، لا هو ولا سائر الخلق أن يأتوا بهذا القرآن الذي هو أجل الكلام وأعلاه وأنه لم يجتمع بأحد يعينه على ذلك فقد جاءوا بهذا القول ظلما وزورا.

ومن جملة أقاويلهم فيه أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم التي تتلقاها الأفواه وينقلها كل أحد استنسخها محمد ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ وهذا القول منهم فيه عدة عظائم:

منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.

ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله - بأنه كذب وافتراء.

ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وقد زعموا ذلك.

فلذلك رد عليهم ذلك بقوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ أي: أنزله من أحاط علمه بما في السماوات وما في الأرض، من الغيب والشهادة والجهر والسر

ووجه إقامة الحجة عليهم أن الذي أنزله، هو المحيط علمه بكل شيء، فيستحيل ويمتنع أن يقول مخلوق ويتقول عليه هذا القرآن، ويقول: هو من عند الله وما هو من عنده ويستحل دماء من خالفه وأموالهم، ويزعم أن الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء ومع ذلك فهو يؤيده وينصره على أعدائه، ويمكنه من رقابهم وبلادهم فلا يمكن أحدا أن ينكر هذا القرآن، إلا بعد إنكار علم الله، وهذا لا تقول به طائفة من بني آدم سوى الفلاسفة الدهرية"[(١)].

وعندما أنكروا أن يكون الله أرسل نبيا من البشر ولم يكن ملكا ولا صاحب مال، واتهموه بأنه ساحر بقولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾[الفرقان: ٧ - ٨].

فرد الله عليهم بقوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾[الفرقان:٩ - ١٠].

"فهذا من مقالة المكذبين للرسول الذين قدحوا بها في رسالته،

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٥٧٨ باختصار.

وهو أنهم اعترضوا بأنه هلاَّ كان ملكا أو مليكا، أو يساعده ملك أو يكون ذا مال مجموع من غير تعب، ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ فيستغني بذلك عن مشيه في الأسواق لطلب الرزق. ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ هذا وقد علموا كمال عقله وحسن حديثه، وسلامته من جميع المطاعن.

ولما كانت هذه الأقوال منهم عجيبة جدا قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ وهي: أنه هلاَّ كان ملكا وزالت عنه خصائص البشر؟ أو معه ملك لأنه غير قادر على ما قال، أو أنزل عليه كنز أو جعلت له جنة تغنيه عن المشي في الأسواق أو أنه كان مسحورا. ﴿ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ قالوا أقوالا متناقضة كلها جهل وضلال وسفه، ليس في شيء منها هداية بل ولا في شيء منها أدنى شبهة تقدح في الرسالة، فبمجرد النظر إليها وتصورها يجزم العاقل ببطلانها ويكفيه عن ردها، ولهذا أمر تعالى بالنظر إليها وتدبرها والنظر: هل توجب التوقف عن الجزم للرسول بالرسالة والصدق؟ ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيك خيرا كثيرا في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾"[(١)].

ومما اتهمه المنافقون أنه يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾[التوبة: ٦١]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٥٧٨ باختصار.

أي: "يقبل من قال له خيرا وصدقا، وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون. وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بالقول أو الفعل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه"[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٤٢ باختصار.

المبحث الرابع
نماذج من الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان الطاغين

من نصرة الله لنبيه ﷺ أن دافع عنه أمام طغيان الطاغين وأعوانهم، وقد سطر القرآن بعض هذه المواقف، ومنها[1]:

المطلب الأول
الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي جهل

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق: ٩ – ١٩]. **وهذا الدفاع كان بعدة أساليب:**

١- الإخبار بأنه ﷺ على الهدى وأن مؤذيه كاذب:

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾

فالناهي مكذب ومتولٍ، والمنهي عبدٌ مصلٍ متبع لطريق الهدى والنور، هادٍ غيره إليه فهو قد جمع في دعوته بين حسن القدوة وحسن الطلب مع حسن الهدى والعمل بخلاف الطرف الأول -الناهي- فقد جمع بين الكذب وهو مخالفة الأمر للواقع عن قصد وغير قصد بل هو إلى الأول أقرب، وبين التكذيب وهو الجحد والنكران للرب المنعم المتفضل وبين التولي والإعراض فهو غير مستمع ولا متعقل لما عليه الطرف المنهي وهو رسول الله ﷺ.

(١) تم ذكر نماذج أخرى عند الحديث عن الرعاية الأمنية.. فيمكن الرجوع إليها للاستزادة.

٢- التهديد برؤية الله تعالى والتخويف بذلك:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾: فهو سبحانه يرى تكذيبه وتوليه، **وللرؤية ما بعدها!** قال ابن كثير: "أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء"(١).

٣- الزجر والوعيد:

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾.

"أي: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ أبو جهل عن أذاك يا محمد، ﴿ لَنَسْفَعًا ﴾ أي: لنأخذنه بشدة ﴿ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ فلنذلنه، وقيل: لنأخذن بناصيته يوم القيامة وتطوى مع قدميه، ويطرح في النار، وإن كانت في أبي جهل فهي عظة للناس، وتهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة"(٢).

٤- التهديد بعدم منفعة الأصحاب المساعدين في عداء الدعوة:

قال تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ "أي ﴿ فَلْيَدْعُ ﴾ أهل مجلسه وعشيرته، فليستنصر بهم"(٣). فأعوان الظالمين يتخلون عنهم وقت الشدة.

٥- التخويف بملائكة العذاب يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ أي: "الملائكة الغلاظ الشداد، وهو مأخوذ من الزبن وهو الدفع"(٤)، "سموا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها"(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٣٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٤٥٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٢٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٢٦.

(٥) معالم التنزيل ٨/٤٨١.

المطلب الثاني
الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي لهب

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[المسد١-٥].

وهذا الدفاع كان بعدة أساليب:

١- دعاء القرآن على المؤذين للرسول ﷺ:

عن ابن عباس قال: صَعدَ النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: "يا صباحاه". فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: "أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبّحكم أو يُمَسّيكم، أما كنتم تصدقوني؟" قالوا: بلى. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تباً لك! ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[(١)].

﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾ "خسرت يدا أبي لهب وهو دعاء عليه من الله"[(٢)] ﴿أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ "هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى: {وتب. ما أغنى عنه ماله} (٤٩٧٢). ومسلم كتاب الإيمان باب {وأنذر عشيرتك الأقربين} (٢٠٨) بزيادة، وانظر جامع البيان للطبري ٢٤/٧١٥.

(٢) جامع البيان للطبري(٢٤/٧١٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٥١٤).

﴿وَتَبَّ﴾ "تحقق خسارته وهلاكه"[١] "فالتب الأول: دعاء والثاني خبر"[٢].

٢- الوعيد بأنه لن ينفع المستهزئين بالرسول ودعوته أموالهم ولا كسبهم:

قال الله تعالى﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ والكسب هو الولد[٣] أي: "ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال، ولا ما كسب من جاه وولد"[٤]. فعن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[٥].

٣- بيان أن مصير المستهزئين المحاربين لرسول الله هو النار:

قال تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ أي: "يشوى بها ويحس بإحراقها"[٦]﴿ذَاتَ لَهَبٖ﴾ "أي: ذات شرر ولهيب وإحراق شديد"[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٥١٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٢٣٦.

(٣) الدر المنثور للسيوطي ١٥/٧٣٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٢٣٨ مختصراً.

(٥) ذكره ابن كثير في التفسير ٨/٥١٥.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٦٠٤-٦٠٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٥١٥.

٤- جزاء من أعان الذين يؤذون الرسول ﷺ والذين آمنوا:

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ "وزوجته من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عَونًا عليه في عذابه في نار جهنم"(١).

﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ(٢)، أذى ونكالًا له ولأصحابه ﷺ. ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي: عُنقِها ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ أي: من لِيْفٍ.

عن سعيد بن المسيب قال: "كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزى لأُنْفِقَنَّها في عداوة محمد. ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة"(٣).

٥- هلاك المؤذين للرسول في الدنيا:

وذلك ببيان قصة هلاك أبي لهب: فقد ذكر ابن إسحاق بسنده: قال أبو رافع ﷺ مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمطلب ﷺ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر.

فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً، قال: وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٥١٥.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٤/٧١٩ ورجحه، الدر المنثور للسيوطي ١٥/٧٣٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٢٤٢.

الأقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة؛ وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بِشَرٍ حتى جلس على طِنْبِ الحجرة فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان قد قدم...قال: فقال أبو لهب لأبي سفيان: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيـم الله لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بين السماء والأرض، والله ما تَلِيق شيئاً-أي ما تبقي- ولا يَقُوم لها شيء.

قال أبو رافع: قلت: تلك والله الملائكة ! قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده ! فقام موليا ذليلاً، فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة-قرحة قاتلة كالطاعون- فقتلته.

ولقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفنانه ؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة[1].

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك ٣/٣٦٥(٥٤٠٦)بعضه، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٤٥، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/٤٧٩، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢٠/٢٤٣.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

الحديث عن رعاية الله لنبيه ﷺ يطول، فالقرآن كله رعاية للمصطفى ﷺ والسيرة كلها شواهد لذلك، وسر هذه الرعاية أنه سيرعى أمته، ويكون دليلاً لهم لكل خير، ولكن حسبنا ما ذكرنا ففيه إشارة إلى هذه العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ.

فهذه لمحة عن أهم ملامح هذا المنهج القرآني الفريد في رعاية رسول الله ﷺ، ويمكن تلخيص هذا البحث في النقاط التالية:

أولًا: نتائج البحث:

١- رعاية الله لنبيه محمد ﷺ شملت جميع جوانب التأهيل وهي الجانب التربوي والعلمي والاجتماعي والنفسي والدعوي وكذلك جانب النصرة والتأييد.

٢- من أهم جوانب رعاية الله لنبيه ﷺ الجانب التربوي والذي يركز على التربية العقدية غرسا لها ووقاية من الوقوع فيما يخالفا.

٣- من جوانب الرعاية التربوية من الله لنبيه ﷺ تربيته الإيمانية بالارتقاء في شعب الإيمان، كالصبر والتوكل والتقوى والمراقبة والتفكر والتسبيح، والذكر والدعاء، والاستغفار وقراءة القرآن والصلاة وقيام الليل، والشكر والإقبال على الله.

٤- ومن الجوانب التربوية التي اعتنى الله فيها بنبيه ﷺ الجانب الخلقي والسلوكي في التعامل.

٥- شملت رعاية الله لنبيه ﷺ الرعاية العلمية قبل بعثته وبدايتها، وشملت مجموعة من التوجيهات في طريقة التلقي وآداب طلب العلم.

٦- كان للرعاية الاجتماعية من الله تعالى لخاتم الأنبياء أثرا ظاهرا في حياته، فقد شملت رعايته حال نشأته، ثم تهيئة الاستقرار الأسرى للنبي ﷺ والاهتمام بأهل بيته، وكذلك الرعاية المادية والأمنية والنفسية.

٧- وكانت الرعاية الدعوية من الله لنبيه أثر ظاهر في حياته كذلك، فشملت الرعاية من حيث تهيئة المكان الذي ستبدأ فيه الدعوة وكذلك الزمان والناس الذين ستبدأ بينهم الدعوة، وإيجاد المعين له في الدعوة. مع عرض التجارب الدعوية السابقة والاستفادة منها، وكذلك التهيئة ببيان شدة أمر الدعوة، وتعليم النبي ﷺ مهامه ووظائفه وقدراته، وإرشاد النبي لوسائل وأساليب الدعوة، مع تنبيه النبي ﷺ عند الخطأ، وكيفية التخاطب مع أصناف المدعوين.

٨- ومن رعاية الله لنبيه رعاية الدفاع والنصرة، بتربية الأمة على الأدب معه، وتوعد الذين يؤذون الرسول، ونماذج من الدفاع عن النبي عند طغيان الطاغين.

ثانيا: توصيات البحث:

١- رعاية الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ، سنة مهجورة يجب أن تُحيا في واقع المجتمعات العلمية والتعليمية اليوم.

٢- ضرورة النظر في سيرة النبي ﷺ لاقتباس شيء من نور تعليم الله له وننهل منها خططاً لإقامة جميع أمور حياتنا.

٣- بروز الحاجة الشديدة لبرنامج رعاية طلاب العلم وخصوصاً طلاب العلم الشرعي، منبثق من رعاية الله تعالى للنبي الخاتم.

٤- ضرورة القيام بأبحاث موسعة ومتخصصة في جوانب الرعاية الربانية من الله لرسوله ﷺ، وتطبيقاتها المعاصرة.

وأملنا أن يكون هذا البحث خطوة لتحقيق ذلك الأمل الذي نتمناه والذي يتمناه المسلمون في كل مكان كما يتمناه المخلصون لهذا الدين من علماء وأساتذة ودعاة سواء بسواء.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن يهتدون بهدي سيد البشر، وممن يكونون معينين على إيصال سنته إلى كل البدو والحضر، وممن يقومون على رعاية من يطلب هذه السنة ويوصلونها للناس، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من لبنات بناء صرح هذه الأمة العظيم.

وختاماً فإن الكمال عزيز وبلوغه صعب المنال وهذه محاولة بشر، أراد بها الخير له ولأمته ولإخوانه في طريق طلب العلم والدعوة إلى الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل فما كان

في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، فمن وجد خللاً فليقومه، ومن وجد نقصاً فليكمله فالله تعالى لا يضيع أجر المصلحين وأسأل الله تعالى أن يغفره لي، وأن يتجاوز عني.

ومرة أخرى آمل من إخواني القراء والباحثين المسارعة في تصحيح خطأ، أو زيادة بيان وتوضيح، أو بيان بعض المقترحات، ولا يبخلوا على إخوانهم بما تجود به قريحتهم من أفكار ومعلومات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. إبطال نظرية الخلط بين الأديان د. بكر أبو زيد – دار ابن حزم – القاهرة.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى- دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٢ ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
٤. الاستشفاء بالصلاة- د. زهير رابح- بحث منشور على الانترنت- ولم أقف عليه مطبوعا.
٥. إشراقات قرآنية في جزء النبأ – سلمان العودة – مؤسسة الإسلام اليوم- ط ١ (١٤٣٥).
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي- دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان- ط: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥مـ.
٧. أضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٣م.
٨. الإعجاز الطبي في الصيام، د. عبدالباسط محمد، مقال منشور على موقع طريق الإسلام، على الرابط:
http://ar.islamway.net/article/1912/
٩. أعلام النبوة- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي- دار ومكتبة الهلال – بيروت.
١٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م
١١. بحر العلوم – أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي- دار النشر: دار الفكر – بيروت- تحقيق: د.محمود مطرجي.

١٢. البحر المحيط – محمد بن يوسف أبى حيان الأندلسي – دار الفكر – بيروت ط٢(١٤٠٣هـ).
١٣. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: ١ ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م.
١٤. بدائع التفسير– ابن القيم– دار ابن الجوزي– الرياض.
١٥. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر– عبد العزيز الحميدي– دار الدعوة– الإسكندرية– ط١(١٤١٨هـ).
١٦. تاريخ الأمم والملوك – ابن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ (١٤٠٨هـ).
١٧. التحرير والتنوير – ابن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس– ١٩٨٤م.
١٨. تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب – المؤلف: علوي بن عبد القادر السَّقَّاف– الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع– الطبعة: الثانية ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.
١٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: ١ ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٢٠. تفسير البيضاوي– أنوار التنزيل – دار الفكر – بيروت– المطبوع مع المصحف.
٢١. تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن كثير القرشي – تحقيق سامي بن محمد السلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط١ (١٤١٨هـ–١٩٩٧مـ).
٢٢. تفسير القرآن العظيم– ابن أبي حاتم– مكتبة نزار مصطفي الباز – مكة – ط١–١٤١٧.
٢٣. التفسير القرآني للقرآن– عبد الكريم الخطيب – دار الفكر – القاهرة.

٢٤. التفسير الموضوعي- كلية الدراسات جامعة الشارقة- ط١٤٣٢هـ- والنسخة منشورة على موقع طريق الإسلام.
٢٥. تفسير النسفى- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي- تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار - دار النفائس بيروت ٢٠٠٥.
٢٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم- محمد سيد طنطاوي- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة- الطبعة: الأولى.
٢٧. تفسير سورة الذاريات- محمد بن عثيمين- مؤسسة ابن عثيمين الخيرية- دار الثريا للنشر- وتفسير السورة ضمن مجموعة سور في مجلد واحد.
٢٨. تفسير جزء النبأ - محمد بن عثيمين- مؤسسة ابن عثيمين الخيرية- ط١٤٢٣ه.
٢٩. تفسير سورة ق - محمد بن عثيمين- مؤسسة ابن عثيمين الخيرية- دار الثريا للنشر. وتفسير السورة ضمن مجموعة سور في مجلد واحد.
٣٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١(١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).
٣١. جامع البيان عن تفسير آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - تحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي - مركز البحوث والدراسات الإسلامية - القاهرة -ط١(١٤٢٢هـ- ٢٠٠١مـ).
٣٢. جامع الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - بيت الأفكار الدولية - الرياض - (١٤١٩هـ-١٩٨٩مـ)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٣٣. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٣٤. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية - المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط- الناشر: دار العروبة - الكويت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٧.

٣٥. خصائص الرسول في النكاح – رسالة ماجستير – عيسى بن عواض الغضياني – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – قسم الفقه – الرياض – ط(١٤٢٢هـ).

٣٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور – لجلال الدين السيوطي – تحقيق عبد المحسن التركي – مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية – القاهرة – ط١(١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣مـ).

٣٧. دراسات قرآنية – محمد قطب – دار الشروق- القاهرة –ط٨(١٤٢٥).

٣٨. دراسة تحليلية لشخصية الرسول- محمد قلعجي- ط١(١٤٠٨).

٣٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ

٤٠. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين- محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي- دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- ط: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٤١. دولة الرسول من التكوين إلى التمكين- كامل سلامة الدسق – دار عمار – عمان – ط١(١٤١٥هـ).

٤٢. الديباج على مسلم – جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – حققه: أبو إسحاق الحويني الاثري – دار ابن عفان- الخبر- السعودية- ط١(١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

٤٣. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى- محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري – مكتبة القدسي – بالقاهرة- عن نسخة: دار الكتب المصرية – عام النشر: ١٣٥٦ هـ.

٤٤. رسالة الأنبياء- عمر أحمد عمر- دار الحكمة- دمشق- ط١(١٤١٨هـ).

٤٥. روح البيان (تفسير حقي) – للبروسوى إسماعيل حقى البروسوى ط دار الفكر بدون تاريخ.

٤٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي– دار الفكر– بيروت – ط١٤٠٣.
٤٧. الروض الأنف – السهيلي– دار الكتب الحديثة– (ط١٣٨٧هـ).
٤٨. زاد المسير في علم التفسير – عبد الرحمن بن على الجوزي– المكتب الإسلامي – بيروت– ط٤(١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م).
٤٩. زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن – محمد محمود الصواف – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط(١٤٠٣هـ١٩٨٣م).
٥٠. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد– محمد بن يوسف الصالحي الشامي – تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض– الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
٥١. سلسلة الأحاديث الصحيحة – محمد ناصر الدين الألباني– المكتب الإسلامي – بيروت –ط٤(١٤٠٥هـ–١٩٨٥مـ).
٥٢. سنن ابن ماجة – محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني – بيت الأفكار الدولية – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٨٩مـ)– اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٥٣. سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السجستاني– بيت الأفكار الدولية – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٩٩مـ)– اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٥٤. سنن النسائي – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي– بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٩٩مـ)– اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٥٥. سورة الأحزاب شريط للشيخ: صالح المغامسي، نقلاً عن سلسة ليدبروا آيته.
٥٦. السير والمغازي لابن إسحاق– محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني – تحقيق: سهيل زكار– الناشر: دار الفكر – بيروت– الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٥٧. السيرة النبوية – ابن هشام – تحقيق مصطفى السقا- مؤسسة علوم القرآن (دمشق بيروت)- دار القبلتين للثقافة الإسلامية – جدة.
٥٨. السيرة النبوية الصحيحة – أكرم ضياء العمري – مكتبة العبيكان- الرياض- ط٣(١٤١٨هـ).
٥٩. السيرة النبوية دراسة وتحليل- محمد أبو فارس- دار الفرقان- ط١(١٤١٨هـ).
٦٠. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – على محمد الصلابي – مكتبة الصحابة – الشارقة – ط١(١٤٢٢هـ).
٦١. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة – محمد أبو شهبة – دار القلم – دمشق – ط٣(١٤١٧).
٦٢. السيرة النبوية لابن كثير- تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان- ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م
٦٣. السيرة النبوية لأبي حاتم البستي- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٦٤. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان: أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي المتوفى سنة ثلاثمائة وأربع وخمسين، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٦٥. السيرة النبوية، دراسة تحليلية، محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان- ط١- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٦٦. السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة هلال بيروت.
٦٧. شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ- محمد الصابوني – ط(١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).
٦٨. صحيح الأدب المفرد – محمد ناصر الدين الألباني – دار الصديق للنشر والتوزيع – الجبيل- ط٢(١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٦٩. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ-١٩٨٩مـ)- اعتناء أبو صهيب الكرمي.

٧٠. صحيح الجامع، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، طبعة: المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٧١. صحيح السيرة النبوية- محمد ناصر الدين الألباني- المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن- ط١.

٧٢. صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ -١٩٩٨م.

٧٣. صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ-١٩٨٩مـ)- اعتناء أبو صهيب الكرمي.

٧٤. صحيح وضعيف جامع الترمذي- محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨مـ).

٧٥. صحيح وضعيف سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨مـ).

٧٦. صحيح وضعيف سنن النسائي- محمد ناصر الدين الألباني- مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٧٧. الصيام معجزة علمية، د. عبدالجواد الصاوي، دار القبلة ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٧٨. ضعيف سنن ابن ماجة - محمد الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨مـ).

٧٩. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، المحقق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر، بيروت- ط ١: ١٩٦٨م.
٨٠. طريق النبوة والرسالة- حسين مؤنس- دار الرشاد- ط٢(١٩٩٩م).
٨١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود- أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي- المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان- دار النشر: المكتبة السلفية المدينة المنورة- الطبعة: الثانية ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م
٨٣. غاية السول في خصائص الرسول- ابن الملقن - دار البشائر - بيروت - ط١(١٤١٤هـ).
٨٤. غرائب التفسير وعجائب التأويل- محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني- دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
٨٥. الفتاوى الكبرى- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - دار المعرفة - بيروت- ط١(١٣٨٦هـ).
٨٦. فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.
٨٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن على بن حجر العسقلاني - ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).
٨٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن على الشوكاني - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ط١(١٤١٥)هـ.
٨٩. فقه السيرة - الغزالي - تعليق الشيخ الألباني - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٠. فقه السيرة النبوية – محمد سعيد البوطي – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط١٠(١٤١١هـ).

٩١. فقه السيرة– منير الغضبان– معهد البحوث العلمية وإحياء التراث– مكة المكرمة.

٩٢. فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ط١١، دار الفكر، دمشق– سوريا، ١٩٩١م.

٩٣. في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد، وزارة الأوقاف بدولة قطر الطبعة الأولى، رجب ١٤١٧هـ.

٩٥. اللباب في علوم الكتاب– سراج الدين عمر بن علي بن عادل– المحقق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

٩٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري– طبعة دار الصادر– بيروت– ط ١.

٩٧. ليدبروا آياته– من إصدارات مركز تدبر– مجلد واحد فيه ٧ أعداد– ط١– ١٤٣٧هـ.

٩٨. مجالس القرآن– فريد الأنصاري– دار السلام للطباعة والنشر– القاهرة– ١٤٣١هـ.

٩٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ط:١٤١٢هـ.

١٠٠. مجموع الفتاوى– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم–: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية– ط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٠١. مجموعة ليدبروا آيته– حصاد ٧ سنوات من التدبر– إعداد مركز تدبر.

١٠٢. محاسن التأويل– محمد بن قاسم الحلاق القاسمي– المحقق: محمد باسل عيون السود– دار الكتب العلميه – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٠٣. المحرر الوجيز في الكتاب العزيز – عبد الحق بن عطية الأندلسي– مؤسسة دار العلوم– الدوحة – ط١(١٣٩٨هـ– ١٩٧٧مـ).
١٠٤. محمد رسول الله – محمد صادق عرجون – دار القلم – ط٢(١٤١٥هـ).
١٠٥. مدارج السالكين – ابن القيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١(١٩٩٠م).
١٠٦. مدخل لفهم السيرة – يحي اليحي– دار الخضيري للنشر – الدمام– ط١– ١٤٢٠هـ.
١٠٧. المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا– دار الكتب العلمية – بيروت – ط١(١٤١١هـ– ١٩٩٠م).
١٠٨. مسند أبي يعلى– تحقيق– حسين أسد، دار المأمون للتراث – جدة، الطبعة٢: ١٤١٠ هـ.
١٠٩. مسند الإمام أحمد – الموسوعة الحديثية –– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١(١٤١٨هـ–١٩٩٧مـ)– بإشراف المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
١١٠. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، ولي الدين، التبريزي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: ٣، ١٩٨٥م.
١١١. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، بيروت ١٤٠٣هـ.
١١٢. معارج التفكر ودقائق التدبر تفسير – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني– دار القلم – دمشق.
١١٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن– تفسير البغوي– الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي – المحقق: عبد الرزاق المهدي– دار إحياء التراث العربي –بيروت– ط١، ١٤٢٠هـ.

١١٤. معجم البلدان- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله- الناشر: دار الفكر - بيروت.

١١٥. المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم- الموصل- ط٢(١٤٠٤هـ).

١١٦. المغازي - محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي - دار الأعلمي - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/ ١٩٨٩.

١١٧. مفاتيح الغيب- التفسير الكبير - محمد الرازي- دار الفكر - بيروت - ط٣(١٤٠٥).

١١٨. المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - دار الفكر.

١١٩. من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٢٠. من وحي القرآن - جمع وترتيب د/ جمعة أمين - دار الدعوة - إسكندرية- ط١(٢٠٠٥م).

١٢١. منامات الرسول- عبد القادر الشيخ إبراهيم- دار القلم العربي- حلب- ط١(١٤١٩هـ).

١٢٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢٣. المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن ط٣- ١٩٩٠م.

١٢٤. موضوعات سورة الأحزاب- د. محمد العواجي- دار طيبة الخضراء ط١ ١٤٢٩هـ.

١٢٥. موطأ الإمام مالك - مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي- دار إحياء التراث العربي - مصر- محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – ط٢(١٤١٣هـ).
١٢٧. النكت والعيون – على بن محمد الماوردي – دار الكتب العلمية – ط١(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
١٢٨. النهاية في غريب الحديث – ابن الأثير – تحقيق طاهر الزاوي – المكتبة العلمية – بيروت.
١٢٩. الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
١٣٠. الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحيى اليحيى- دار الخضيري للنشر – الدمام- ط١- ١٤٢٠ه.
١٣١. وقفات تربوية مع السيرة النبوية- أحمد فريد- دار طيبة – الرياض- ط٣(١٤١٧هـ).
١٣٢. وقفات تربوية من السيرة النبوية- عبدالحميد البلالي- المنار- الكويت- ط٣، ١٤١١هـ.

فهرس المحتويات

المقـدمـة ٥

سبب اختيار الموضوع ٦

منهجية البحث ٦

خطة البحث ٧

الفصل الأول: الرعاية التربوية من الله تعالى لخاتم الأنبياء ١٢

تمهيد ١٣

المبحث الأول: الرعاية التربوية في جانب العقيدة ١٤

١ – إعلان الانفصال التام بين الكفر والإسلام ١٤

٢ – عدم الرضا بالكفر ولو مرة على حساب الدين ١٥

٣ – أن العبادة المقترنة بالشرك ليست عبادة ١٥

٤ – التمييز في العقيدة لا التمييع ١٦

٥ – النهي عن اتباع الكفار والمنافقين والبراءة منهم والإعراض عنهم وعدم طاعتهم ١٨

٦ – الإقبال على الآخرة ١٨

٧ – الرضا والإيمان بقضاء الله وقدره والتسليم له ١٩

٨ – نهي الله نبيه ﷺ عن الإشراك به ٢٠

٩ – أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتوحيد الخالص الكامل ٢٠

١٠ – عدم الاستغفار للمشركين ٢١
١١ – التربية على أن المشيئة لله وحده: ٢٣
١٢ – عصمة النبي ﷺ من الركون للكفار ٢٣
١٣ – الاتباع وعدم الابتداع ٢٤
١٤ – التسليم لأمر الله في جميع الأحوال وعدم الخوف من
أحد غير الله ٢٥
المبحث الثاني: الرعاية التربوية في الارتقاء بشعب الإيمان ٢٧
تمهيد: ٢٧
المطلب الأول: تربية النبي ﷺ على الصبر ٢٨
١ – أمره الله بالصبر على الاستهزاء به مصحوبا بالتأكيد على
وعد الله ٢٨
٢ – أمر الله تعالى نبيه ﷺ بما يساعده على الصبر على تلك الأذية ٢٩
٣ – بين الله تعالى لنبيه ﷺ مظاهر الصبر على أذية الكفار ٢٩
٤ – الصبر على طول طريق الدعوة ٣٠
٥ – الصبر على حكم الله وقضائه ٣١
٦ – الصبر على درجات الإحسان ٣٢
٧ – الاقتداء بالأنبياء السابقين في الصبر ٣٢
٨ – الاستعانة بالله على الصبر ٣٣
٩ – الصبر على الصحبة الصالحة ٣٣

المطلب الثاني: تربية النبي ﷺ على حسن التوكل ٣٥
١ – التوجيه العام من الله لنبيه ﷺ بالتوكل على الله ٣٥
٢ – التوكل على الله في كل أمر عزم عليه: ٣٦
٤ – بيان أن الله تعالى وكيله وكفى به وكيلاً ٣٧
٥ – التوكل على الله في الحرب ٣٨
٦ – التوكل على الله في العبادة ٣٨
٧ – بيان الله لنبيه ﷺ عزة ورحمة المُتَوكل عليه ٣٩
٨ – الاستدلال بوحدانية الله على الأمر بالتوكل: ٤٠
٩ – تثبيت الله نبيه على الحق بأمره بالتوكل: ٤١
المطلب الثالث: تربية النبي ﷺ على مراقبة وتقوى الله سبحانه وتعالى ٤٢
المطلب الرابع: تربيته النبي ﷺ على عبادة التفكر ٤٤
المطلب الخامس: تربيته النبي ﷺ على عبادة التسبيح ٤٧
١ – الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ٤٧
٢ – الجمع بين التسبيح والتحميد ٤٨
٣ – التسبيح عند الكرب ٤٩
٤ – تعظيم الله تعالى بالتسبيح: ٥٠
٥ – التسبيح عند النصر: ٥٢

٦ – التسبيح عند القيام من المجلس وللصلاة ومن النوم في الليل: ٥٢
٧ – التسبيح في قيام الليل: ٥٣
المطلب السادس: تربية النبي ﷺ على عبادة الذكر عامة ٥٤
المطلب السابع: تربية النبي ﷺ على عبادة الاستغفار ٥٧
المطلب الثامن: تربية النبي ﷺ على عبادة قراءة القرآن ٦٠
المطلب التاسع: تربية النبي ﷺ على عبادة الدعاء ٦٢
المطلب العاشر: تربية النبي ﷺ على عبادة الصلاة ٦٥
المطلب الحادي عشر: تربية النبي ﷺ على عبادة قيام الليل ٦٦
المطلب الثاني عشر: تربية النبي ﷺ على الشكر عند حصول النعمة ٦٨
الأمر الأول: التسبيح والحمد لله ٦٩
الأمر الثاني: الاستغفار: ٧٠
الأمر الثالث والرابع: الصلاة، والذبح لله: ٧١
رابعا: تربيته على شكر الله تعالى ٧٢
المطلب الثالث عشر: تربية النبي ﷺ على الإقبال على الله ٧٤
١ – تربيته على التبتل في العبادة وكثرتها: ٧٤
٢ – التربية على الاستمرار في العبادة وعدم الانقطاع عنها ... ٧٤
٣ – البعد عن ملهيات الدنيا: ٧٤

٤- تربيته على الاستقامة والالتزام بشرع الله ٧٥
٥- تربيته على حسن الإقبال على الله وكثرة العبادة ٧٦
المبحث الثالث: الرعاية التربوية في جانب الأخلاق والمعاملات ٧٨
١- تربيته ﷺ على رعاية اليتامى والاهتمام بهم ٧٨
٢- تربيته على المعاملة الحسنة للفقراء والسائلين ٧٨
٣- تربيته على حسن الخلق عموما ٧٩
٤- الإعداد الخلقي للنبي ﷺ لنبيه قبل البعثة ٨١
٥- تعليم النبي ﷺ الرفق بالمدعوين وتبشيرهم ٨٢
٦- التواضع ٨٢
٧-النظافة ٨٢
٨- عدم المنة بالعمل الصالح ٨٣
الفصل الثاني: الرعاية العلمية من الله تعالى لخاتم الأنبياء ٨٦
المبحث الأول: رعايته العلمية قبل البعثة وبدايتها ٨٧
أولا: نشأة النبي ﷺ في بيئة تساعده على التعلم ٨٧
ثانيا: بدء نبوته بالأمر بالتعلم ٨٨
رابعا: هداه الله تعالى إلى الحق: ٩٠
المبحث الثاني: شمولية الرعاية التعليمية للنبي وطريقها
ونوعيتها ٩٢

أولا: علَّم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ تعليما شاملا من خلال الوحي ٩٢
ثانيا: علَّمه الله تعالى ما لم يكن يعلم ٩٣
ثالثا: تعليمه القرآن وإيتاؤه الحكمة ٩٣
المبحث الثالث: تعليمه جوامع آداب طلب العلم ٩٥
أولا: أمره تعالى بطلب الزيادة في العلم ٩٥
ثانيا: عدم الاستعجال في طلب العلم: ٩٥
ثالثا: التربية على العمل بالعلم ٩٧
رابعا: الطمأنة بعدم نسيان العلم وأهمية تذاكر العلم ٩٧
الفصل الثالث: الرعاية الاجتماعية من الله تعالى لخاتم الأنبياء ٩٨
المبحث الأول: رعاية النبي ﷺ حال نشأته ٩٩
المطلب الأول: جعله الله تعالى من خير قبائل العرب ٩٩
أولا: أنه من قبيلة مصطفاة ٩٩
ثانيا: شرف قريش ١٠٠
المطلب الثاني: شرف والديه وجده وعمه وزوجته ١٠١
أولاً: أبوه وأمه من خير الناس: ١٠١
ثانيا: مكانة جده عبدالمطلب ١٠٢
ثالثا: مكانة عم النبي ﷺ ١٠٤
رابعاً: تزويجه خير نساء العالمين ١٠٥

المطلب الثالث: رعاية الله للنبي ﷺ في يتمه ١٠٦
أولا: من رعاية الله للنبي ﷺ أن جعله يتيما ١٠٦
ثانياً: رعاية الله له من خلال كفالة أمه ثم جده له ١٠٧
ثالثا: رعاية الله لنبيه ﷺ من خلال رضاعته في بني سعد ١٠٨
رابعاً: رعاية الله لنبيه ﷺ في يتمه من خلال حادثة شق الصدر ١٠٩
خامسا: عمله ﷺ في الرعي ودوره في التنشئة ١١٠
المطلب الرابع: رزقه الله تعالى بالبنين والبنات ١١٣
المبحث الثاني: تهيئة الاستقرار الأسرى للنبي ﷺ ١١٥
المطلب الأول: إباحة الله لنبيه ﷺ الزيادة على أربع زوجات ١١٥
المطلب الثاني: قَسْم النبي ﷺ بين زوجاته ١١٧
المطلب الثالث: حادثة التخيير لزوجاته ١١٩
المطلب الرابع: حادثة التحريم لزوجاته ١٢٢
١- تربيته على حسن المعاملة مع زوجاته ١٢٤
٢- استيعاب مشكلاته: ١٢٤
٣ - بين الله لزوجات النبي ﷺ الصفات التي يجب أن يلتزمن بها ١٢٤
٤ - العلاقة الطيبة بين النبي ﷺ وزوجاته: ١٢٥

المبحث الثالث: الاهتمام بأهل بيته ﷺ ١٢٦
المطلب الأول: تربية زوجات النبي ﷺ ١٢٦
١- التحذير من ارتكاب الفواحش والتشديد في ذلك ١٢٧
٢- الوصية بالخشوع والعمل الصالح وزيادة الأجر لهن في ذلك ١٢٨
٣- النهي عن الخضوع بالقول ١٢٩
٤- الأمر بالقرار في البيت ١٢٩
٥- النهي عن التبرج ١٣٠
٦- الوصية بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ١٣٠
٧- الوصية بطاعة الله ورسوله ﷺ ١٣١
٨- الله تعالى يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيت النبي ﷺ ١٣١
٩- الأمر بالدعوة إلى الله والتعليم ١٣٢
١٠- أمر زوجات النبي بالحجاب: ١٣٢
١١- برأ الله تعالى زوجته من فوق سبع سماوات ١٣٣
المطلب الثاني: الأدب مع زوجات النبي ﷺ ١٣٤
أولاً: أدب سؤال زوجات النبي ﷺ ١٣٤
ثانيا: النهي عن أذية النبي ﷺ في زوجاته ١٣٥
المبحث الرابع: الرعاية المادية ١٣٧

المطلب الأول: التربية الربانية للنبي ﷺ في الجانب المالي ١٣٨
أولاً: تربيته على الاستعانة بالله في طلب المعاش ١٣٨
ثانياً: تربية النبي ﷺ على الزهد في الدنيا ١٣٩
المطلب الثاني: نشأته في قبيلة ومنطقة مشهورة بالتجارة ١٤٠
المطلب الثالث: تربيته الله نبيه ﷺ على الكسب من عمل يده ١٤٢
المطلب الرابع: تيسير الله لنبيه ﷺ من يعينه ١٤٤
أولا: تيسير الله له خديجة رضي الله عنها زوجة له فساعدته بمالها ١٤٤
ثانيا: تيسير الله له أبا بكر الصديق رضي الله عنه داعماً ١٤٥
ثالثا: تيسير الله له عثمان رضي الله عنه داعماً ١٤٦
رابعا: تيسير الله لنبيه الصحابة وإهدائهم له الهدايا ١٤٧
المطلب الخامس: ما أعطاه الله تعالى من الغنائم والفيء ١٤٨
المبحث الخامس: الرعاية الأمنية ١٥١
المطلب الأول: طمأنة الله لنبيه بأنه حافظ له ١٥١
المطلب الثاني: نماذج من حفظ الله لنبيه من أعدائه ١٥٣
أولا: تسخير الله له عمه ليحميه من قريش ١٥٣
ثانيا: حفظ الله تعالى له من أذى قريش ١٥٤
ثالثاً: حفظ الله له من القتل في حادثة الهجرة ١٥٥
رابعاً: حفظ الله لنبيه من محاولة يهود قتله ١٥٧
المطلب الثالث: تعليم النبي ﷺ أخذ الحيطة والحذر ١٥٩

أولا: اختياره دار الأرقم لتعليم أصحابه خلال ثلاث سنوات من البعثة في مكة ١٥٩
ثانيا: أخذ الحيطة والحذر في هجرته للمدينة ١٦٠
ثالثاً: حراسة الصحابة للنبي ﷺ في غزواته ١٦٢
المطلب الرابع: حفظ الله لنبيه في صحته ١٦٤
١- رضاعة النبي ﷺ في بادية بني سعد ١٦٤
٢- تعليم الله تعالى لنبيه أسس الطب التي يحفظ بها نفسه وغيره ١٦٤
٣- رقية جبريل للنبي ﷺ ١٦٥
٤- شفاء الله لنبيه من السحر ١٦٦
الفصل الرابع: الرعاية النفسية ١٦٧
المبحث الأول: ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الضحى ١٦٨
أولا: طمأنة النبي ﷺ بمعيته له ١٦٩
ثانيا: طمأنة النبي ﷺ بأن الآخرة له ١٧٠
ثالثا: وعده الله بالعطاء الذي يرضيه ١٧١
رابعا: ذكره ربه ببعض نعمه التي عاش ويعيش فيها ليزداد طمأنينة ١٧٢
المبحث الثاني: ما ورد من الرعاية النفسية في سورة الشرح ١٧٤

أولا: شرح صدر النبي ﷺ ١٧٥
ثانياً: عصمة النبي ﷺ من الوزر ١٧٧
ثالثًا: رفع ذكر النبي ﷺ ١٧٨
الرابع: تبشيره بأن مع العسر يسراً ١٧٩
المبحث الثالث: تثبيت نفس النبي ﷺ ١٨٠
أولاً: إزالة ما في قلب النبي من الرهبة ١٨٠
ثانيا: إنزال السكينة على الرسول ﷺ في مواضع متعددة ١٨١
ثالثا: علاج ما في قلب النبي ﷺ من الضيق من الكفار وكفايته ١٨٢
رابعا: التسلية لرسول الله ﷺ ١٨٣
خامسا: طمأنته ﷺ بقوة المنهج الذي يدعو إليه ١٨٤
سادسا: تثبيت قلب النبي بالقصص: ١٨٤
المبحث الرابع: تبشير النبي ﷺ ١٨٥
١- تبشير النبي ﷺ بأنه في رعاية الله: ١٨٥
٢- تبشير النبي ﷺ بأن العاقبة للمتقين ١٨٥
٣- تبشير النبي بالفتح والنصر ١٨٦
٤- تبشير النبي ﷺ بفتح مكة ١٨٧
٥- تبشير النبي ﷺ بالتوبة عليه ١٨٧
٦- تبشير النبي ﷺ بأن الله سييسره لليسر: ١٨٨

٧- تبشير النبي ﷺ بنهر الكوثر في الجنة ١٨٨
٨- تبشير النبي ﷺ بأن الله ثبته وعصمه من الركون للكفار ١٩٠
٩- تبشير الله لنبيه ﷺ بأنه سيحفظه من شر الأعداء ١٩٠
الفصل الخامس: الرعاية الدعوية ١٩١
المبحث الأول: الرعاية من حيث تهيئة المكان والزمان والناس ١٩٢
المطلب الأول: اختيار الله تعالى لنبيه المكان المناسب لبداية الدعوة ١٩٢
المطلب الثاني: اختيار الله تعالى لنبيه الزمن المناسب للدعوة والجهر بها ١٩٣
أولاً: الضلال الذي كان فيه الناس وقت البعثة ١٩٤
ثانياً: إتمام إعداد النبي ﷺ من أجل الدعوة ١٩٦
المطلب الثالث: اختيار الله تعالى لنبيه فئة الناس الذين سيبدأ معهم الدعوة ١٩٧
أولاً: الأسباب الدينية ١٩٩
ثانياً: الأسباب الاجتماعية ١٩٩
ثالثا: الأسباب الأخلاقية ٢٠٠
المبحث الثاني: إيجاد المعين له في الدعوة ٢٠١
أولاً: تأليف الله تعالى قلوب الصحابة ليكونوا عوناً للنبي ﷺ على

دعوته ٢٠١
ثانياً: تنوع المعينين له ﷺ ٢٠١
ثالثاً: بين الله تعالى صفات المعينين له في الدعوة وما يجب
عليهم ٢٠٥
المبحث الثالث: عرض التجارب الدعوية السابقة للاستفادة
منها ٢٠٨
أولاً: عرض التجاب السابقة: ٢٠٨
ثانياً: الأمر بالاستفادة من تجارب الأنبياء السابقين بالاقتداء
والعمل والسير على هديهم ٢٠٩
ثالثاً: بيان سلوك وأخلاق الأنبياء السابقين عليهم الصلاة
والسلام ليقتدى بهم ٢١٠
المبحث الرابع: التهيئة ببيان شدة أمر الدعوة ٢١٢
أولاً: الشدة التي تعرض لها النبي ﷺ في بداية الوحي ٢١٢
ثانياً: التهيئة ببيان أن أمر الدعوة مليء بالأشواك من أول
يوم في الرسالة ٢١٣
ثالثاً: التنبيه ببيان شدة القول الذي سينزل عليه ٢١٤
المبحث الخامس: تعليم الله تعالى لنبيه ﷺ مهامه ووظائفه
وقدراته ٢١٦
المطلب الأول: تعليم النبي مهامه ووظائفه ٢١٦

أولا: مهام النبي ووظائفه من خلال آية سورة الأحزاب ٢١٦
ثانياً: مهام النبي ووظائفه في آيات من سورة الأعراف ٢١٩
ثالثا: وظائف النبي ﷺ من خلال آيات من سورة آل عمران ٢٢١
المطلب الثاني: تكليف النبي بالبلاغ، وليس عليه هدايتهم ٢٢٤
المبحث السادس: إرشاد النبي لوسائل وأساليب الدعوة ٢٢٧
١- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى ٢٢٧
٢- الأمر بدعوة الأقارب ٢٢٨
٣- الأمر بالصدع بأوامر الله تعالى: ٢٢٩
٤- أمر الله له بالتذكير متى نفعت التذكرة ٢٢٩
٥- الأمر بالدعوة على بصيرة ٢٣٠
٦- المسالمة: ٢٣٠
٧- الجهاد والتذكير بالقرآن ٢٣١
٨- التدرج في الدعوة ٢٣٢
٩- الدعوة والتعليم بالقصص ٢٣٢
١٠- الدعوة بضرب الأمثال ٢٣٣
المبحث السابع: تنبيه النبي ﷺ عند الخطأ ٢٣٥
أولاً: معاتبته عند تحريمه على نفسه العسل من أجل زوجاته: ٢٣٥
ثانياً: معاتبته عند إعراضه عن الأعمى: ٢٣٦

ثالثاً: معاتبته على أنه كاد أن يجعل لكبار القوم مجلساً خاصاً بهم: ٢٣٧
رابعاً: معاتبته عندما دعا على قريش بسبب ما فعلوه في المسلمين في أحد: ٢٣٧
المبحث الثامن: تعليم النبي ﷺ التخاطب مع أصناف المدعوين ٢٣٩
المطلب الأول: التعامل مع المؤمنين ٢٣٩
١ - تبشيرهم ٢٣٩
٢ - لين الجانب لهم ٢٤٠
٣ - العفو عنهم والاستغفار لهم ٢٤٠
٤ - بيان ولاية النبي ﷺ للمؤمنين ٢٤١
٥ - التبرؤ من معصية العاصين وليس من العاصين أنفسهم ٢٤٣
المطلب الثاني: التعامل مع الكفار والمنافقين ٢٤٤
١ - عدم طاعتهم ٢٤٤
٢ - ترك أذيتهم ٢٤٥
٣ - جهادهم والغلظة عليهم: ٢٤٥
٤ - عدم الحزن على الكفار والمنافقين الذين يرفضون الإسلام ٢٤٦
٥ - واجب النبي ﷺ أمام طغيان الطاغين ٢٤٧
٦ - التحذير من استخفاف الكفار به ٢٤٨

٧- عدم الانشغال بأهل الباطل عن العبادة والدعوة ٢٤٨
الفصل السادس: رعاية الدفاع والنصرة ٢٤٩
المبحث الأول: رعاية النبي ﷺ بتربية الأمة على الأدب معه ٢٥٠
١- الحرص على اتباع النبي ﷺ ولزوم سنته: ٢٥٠
٢- التأدب مع رسول الله ﷺ في الاستماع والإنصات: ٢٥٠
٣- الصبر على التزام الأدب مع رسول الله ﷺ: ٢٥١
٤- محبة الرسول ﷺ: ٢٥٢
٥- كثرة الصلاة على النبي ﷺ: ٢٥٢
٦- التأدب في زيارة النبي ﷺ ودخول بيته ٢٥٤
٧- استئذان النبي ﷺ ٢٥٥
٨- غرس الاقتداء بالرسول في قلوب المدعويين ٢٥٥
المبحث الثاني: التحذير من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ ٢٥٧
١. عدم الإسراع بقول أو فعل قبل أن يقول فيه الله تعالى أو رسول الله ﷺ ٢٥٧
٢. عدم رفع الصوت في مجلسه سواء في الحديث معه ﷺ أو مع غيره: ٢٥٧
٣. لا يخاطب الرسول ﷺ باسمه وكنيته كما يخاطب الناس بعضهم بعضاً ٢٥٨

٤. التحذير من مشاقة الرسول والكفر به: ٢٥٩
٥. تحذير الله عباده من مسلك الذين يؤذون الرسل ٢٦٠
٦. تعظيم أمر أذية الرسول ﷺ في أزواجه عند الله ٢٦٠
المبحث الثالث: توعد الذين يؤذون الرسول ﷺ والرد عليهم ٢٦١
المطلب الأول: توعد من يؤذي رسول الله ﷺ ٢٦١
أولاً: توعد الذين يريدون إخراج النبي بالنفي والهلاك في الأرض ٢٦١
ثانيا: اللعن والطرد والعذاب المهين للذين يؤذون النبي ﷺ ٢٦٣
المطلب الثاني: رد أذية الكفار واتهامهم للنبي ﷺ ٢٦٥
المبحث الرابع: نماذج من الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان الطاغين ٢٧٠
المطلب الأول: الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي جهل ٢٧٠
١- الإخبار بأنه ﷺ على الهدى وأن مؤذيه كاذب: ٢٧٠
٢- التهديد برؤية الله تعالى والتخويف بذلك: ٢٧١
٣- الزجر والوعيد: ٢٧١
٤- التهديد بعدم منفعة الأصحاب المساعدين في عداء الدعوة: ٢٧١

٥- التخويف بملائكة العذاب يوم القيامة ٢٧١
المطلب الثاني: الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي لهب ٢٧٢
١- دعاء القرآن على المؤذين للرسول ﷺ ٢٧٢
٢- الوعيد بأنه لن ينفع المستهزئين بالرسول ودعوته أموالهم
ولا كسبهم ٢٧٣
٣- بيان أن مصير المستهزئين المحاربين لرسول الله هو النار ٢٧٣
٤- جزاء من أعان الذين يؤذون الرسول ﷺ والذين آمنوا ٢٧٤
٥- هلاك المؤذين للرسول في الدنيا: ٢٧٤
الخاتمة ٢٧٦
قائمة المصادر والمراجع ٢٨٠
فهرس المحتويات ٢٩٣

منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين

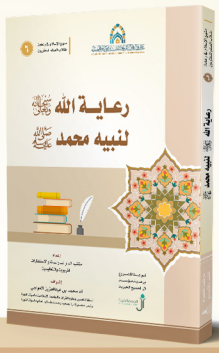

رعاية الله تعالى لنبيه محمد ﷺ

لقد كان لرسول الله ﷺ عناية خاصة من الله تعالى، كيف لا وهو النبي الخاتم، الذي لا نبي بعده، فهذا النبي معلمٌ وقدوةٌ للبشرية إلى قيام الساعة، وأنواع التربية والعناية والتأهيل التي حظي بها النبي ﷺ من ربه كثيرة جداً.

لقد وجه الله تعالى نبيه بتوجيهات تربوية وعلمية واجتماعية ودعوية، تمثل القاعدة التي يرتكز عليها المسلم في حياته -عموماً- والداعية إلى الله في دعوته - خصوصاً- لكي تتم حياته على أكمل وجه، وتقوم على منهاجها الواضح الصافي، وتظهر الفائدة منها ويتم تحقيقها على أرض الواقع.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث: "رعاية الله تعالى لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم" .

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع